الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران 2

كلية العلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان:

الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي: مقارنة بين توماس هوبز وجان جاك روسو

إعداد الطالبة:

***جيلالي سمية**

بإشراف الدكتورة:

***بن كراراز فطيمة**

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
حنيفي جميلة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
بن كراراز فطيمة	أستاذ محاضر	مشرفا	جامعة وهران 2
صافية مناد	أستاذ محاضر	مناقشا	جامعة وهران 2

السنة الجامعية: 2024 / 2025

الإهداء

إلى والدي الكريمان، أمي داعمتي الأولى والأبدية، أبي سندي وأماني في الحياة.

إلى إخوتي عبد الرحمن، شيماء وحبيبة قلبي خديجة.

إلى روح جدتي الطاهرة رحمها الله.

إلى جميع أفراد عائلتي محبة وعرفانا.

إلى رفقاء دربي وقلبي، أشواق التي لم يكن ليكتمل هذا العمل لولاها فوزية، فاطمة الزهراء و مرام.

إلى كل من يعرف نفسه جيدا دون ذكر الأسماء.

أهدي هذا العمل.

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه، الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد إبن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد:

أتوجه بخالص شكري لأستاذتي المشرفة الفاضلة الدكتورة بن كراراز فاطمة الزهراء التي تفضلت بالإشراف هذا البحث وعلى كل ما قدمته لي من أفكار ونصائح وتوجيهات، لها مني كل عبارات الإمتنان.

كما أن الشكر موصول إلى لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل، كما لا يفوتني شكر كل أساتذة الفلسفة الأفاضل كل باسمه ومقامه.

كما أن الشكر موصول إلى كل من كانت له يد عون من قريب أو بعيد، سواء من الأسرة أو الأصدقاء أو الزملاء.

مقدمة

مقدمة

مقدمة

إنّ تاريخ الفلسفة حافل بمجموعة كبيرة من الإشكاليات والقضايا التي واجهت العقل الإنساني مند بداية القرن 6 ق م إلى يومنا هذا. بحيث ساهمت هذه الأخيرة في تطور تشكيل الوعي الإنساني وحسه النقدي وجعل العقل طرفا في علاقة جدلية مع العالم المحيط به إضافة إلى تحليل هذا الإنسان في أبعاده المعرفية، الفكرية، الأخلاقية بالإضافة إلى السياسية. ومن بين هذه الإشكاليات نجد الحرية كمطلب أساسي سعى الإنسان إلى بلوغه بحيث يتخلص من كل القيود التي تكبله والمعيقات التي تواجهه، سواء كانت طبيعية أو اجتماعية. من هنا جاء إهتمام جمهور الفلاسفة بمفهوم الحرية وكيفية تحقيقها مند العصر اليوناني القديم مع أرسطو، سقراط وأفلاطون تم تطور المفهوم في العصر الحديث مع فلاسفة التنوير إلى غاية العصر المعاصر، حيث حاول كل فيلسوف صياغة هذا المفهوم ضمن إطار معين كل حسب نظرته وفلسفته.

وفي إطار الفلسفة السياسية التي تعتبر فرعا من فروع الفلسفة، عالجت الإنسان وعلاقته بالآخر ضمن مفهوم الحق والواجب سعيا إلى تحقيق الدولة، العدالة، المساواة، والحرية، وقد لعب مفهوم الحرية دورا محوريا في فلسفة العقد الاجتماعي وهي فلسفة منبتقة عن الفلسفة السياسية التي سعت بدورها لتحقيق مفهوم الدولة المثلى ولكن ضمن ما يسمى بالعهد أو الميثاق الذي يلتزم بتحقيقه كل من الرعية والحاكم. هذه النظرية تعود جذورها إلى فلسفة اليونان القديمة، لكنها تطورت في عصر التنوير وذلك بفضل أسماء أساسية من بينها توماس هوبز وجان جاك روسو، الذين رغم اتفاقهم على أهمية العقد الاجتماعي كأساس لنشأة الدولة إلا أن لكل منهم تفسيره حول تأسيس هذا العقد وهذه الدولة. فقي إنجلترا وهو المكان الذي تطورت فيه أفكار توماس هوبز يرى أن العقد الاجتماعي هو ضرورة للخروج من حالة الفوضى وقانون الغاب الذي يسبق قيام الدولة،

أما في فرنسا لدى جان جاك روسو يرى أن العقد الإجتماعي هو تعبير عن الإرادة العامة و التي لابد أن تكون أساس الدولة.

وعلى ضوء التحليل السابق نطرح الإشكالية القائلة بأن الحرية أساس فلسفة العقد الإجتماعي وعليه بالنسبة لهوبز وروسو هل يمكن الحديث عن حرية حقيقية في دولة ناتجة عن العقد الإجتماعي؟ وهل يشكل العقد وسيلة لضمان الحرية أم أداة لقمعها؟ وهنا يتفرع البحث إلى مجموعة أسئلة ثانوية تمت معالجتها في الفصول المطروحة وهي: ما الحرية؟ وما العقد الإجتماعي؟ كيف تتجلى هذه الحرية عند كل من هوبز وروسو؟ وما أوجه التشابه والإختلاف بينهما؟ ما أبعاد النظرية وما النقد الموجه إليها؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة إعتمدنا خطة البحث الآتية حيث جاء تقسيم البحث إلى مقدمة عامة للموضوع كتمهيد للبحث مع ذكر المجال والإطار الزماني والمكاني للبحث ثم طرح الإشكال، وثلاثة فصول رئيسية وخاتمة وهي على التوالي: **الفصل الأول:** بعنوان الإطار المفاهيمي والنظري للحرية والعقد الإجتماعي وقد تناولنا فيه مبحثين طرحنا في الأول مفهوم الحرية في اللغة والاصطلاح ثم تتبعنا تاريخية المفهوم من العصر اليوناني إلى غاية العصر المعاصر مع تقديم لنماذج من الفلاسفة في كل عصر، والثاني مفهوم العقد الإجتماعي من تعريف لغوي وإصطلاحي ثم تطرقنا إلى تقديم مختصر للعقد عند أهم فلاسفته. أما **الفصل الثاني:** فقد جاء بعنوان تجليات الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي عند كل من هوبز وروسو حيث تضمن مبحثين ناقشنا في الأول الأوضاع التي سادت في إنجلترا وبروز ميكيافيلي، ثم الفكر السياسي لدى هوبز من المرحلة البدائية إلى العقد مع تتبع مفهوم الحرية، أما المبحث الثاني فخصصناه لروسو مع دراسة لأوضاع فرنسا ثم التطرق إلى نشأة المجتمع السياسي لديه مع التركيز على الحرية من الحالة الطبيعية إلى غاية تشكيل الدولة بفضل التعاقد. و**الفصل الثالث** والأخير المعنون ب: هوبز وروسو: دراسة في الأسس والأبعاد، ففي المبحث الأول تم تحديد أوجه التشابه

ونقاط الإتفاق ثم التطرق للفروقات الجوهرية بين النموذجين، أما المبحث الثاني إنطوى على أبعاد نظرية العقد الإجتماعي على الفكر السياسي اللاحق، كما قمنا بنقد وتقييم النظرية على أساس وجهات نظر مختلفة. وفي الأخير خرجنا بخاتمة كحوصلة عامة للموضوع المدروس على شكل نتائج تم التوصل إليها مما تم عرضه وتحليله.

وبما أنّ كل بحث الفلسفي يقتضي طبيعة منهج معين فقد إعتمدت لمعالجة هذه الدراسة على المناهج التالية:

أولا المنهج التاريخي وذلك بالتركيز على الترتيب الكرونولوجي لتطور مفهوم الحرية والعقد الإجتماعي بالإضافة إلى تتبع المسار التاريخي الذي أثر على تفكير هوبز وروسو، ثاني منهج وهو المنهج التحليلي وذلك من أجل عرض وتحليل أفكار النموذجين فيما يخص الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي مع قراءة النصوص الفلسفية للنموذجين (الليفياثان لهوبز والعقد الإجتماعي لروسو)، بالإضافة إلى المنهج المقارن للبحث في وجهات النظر المختلفة مع تحديد لنقاط الإتفاق والإختلاف بينهما.

كما لابد من الإقرار بأننا لسنا السباقين لدراسة هذا الموضوع بحيث نجد عدد لا بأس به من الدراسات السابقة حوله خاصة فيما يتعلق بجان جاك روسو. في هذا الصدد نجد رسالة الماجستير للطالب نعمون مسعود بعنوان التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو سنة2008-2009 بجامعة قسنطينة، إذ عالج الطالب إشكالية حقوق الإنسان وآراءه المتعلقة بطبيعة الإنسان، كما نجد أيضا رسالة الدكتوراه للطالب زيان محمد بعنوان قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر_ جان جاك روسو أنموذجا، طرح فيها الطالب قضية المواطنة في فكر جان جاك روسو.

وطبعا لا يخلو أي بحث من صعوبات تواجه الطالب في دراسته قد واجهتنا مجموعة منها أهمها عائق اللغة لأن النصوص الأصلية مكتوبة باللغة الأجنبية . بالإضافة إلى قلة الدراسات الخاصة بتوماس هوبز فيما يتعلق بنظريته السياسية.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للحرية والعقد الاجتماعي:

المبحث الأول: مفهوم الحرية وتارخيتها

أولا: تعريف الحرية لغة وإصطلاحا

ثانيا: تطور مفهوم الحرية عبر العصور

المبحث الثاني: جينيالوجيا وكرونولوجيا مصطلح العقد الإجتماعي

أولا: تعريف العقد لغة وإصطلاحا

ثانيا: حول العقد الإجتماعي

توطئة:

في جوهر الفلسفة، يكمن التمعن في المفاهيم، التي تشكل الركائز الأساسية للنظريات والحجج المطروحة. لذا، فإن تحديد هذه المفاهيم بدقة ليس مجرد ممارسة لغوية، بل هو ضرورة ملحة لتحقيق وضوح الفكر وصحة التحليل. فعندما تكون المفاهيم محددة بدقة، يصبح من الممكن التمييز بين الأفكار المتشابهة وتجنب اللبس الذي قد يؤدي إلى استنتاجات خاطئة. فالفيلسوف الذي يسعى إلى فهم العالم أو طبيعة الوجود يجب أن يكون قادراً على تعريف المفاهيم التي يستخدمها، وتحديد العلاقات بينها، وتوضيح الافتراضات التي يستند إليها. هذه العملية ليست ثابتة، بل تتطلب مراجعة مستمرة وتعديلًا للمفاهيم في ضوء الأدلة والحجج الجديدة. ويرتبط ضبط المفاهيم ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة السياسية، إذ يلعب دورًا محوريًا في تحليل القضايا السياسية وتفسيرها وفهمها على نحو صحيح مما يساعد على فهم النظريات السياسية وتحليلها ونقدها، كون أن الإنسان كائن مدني بطبعه، لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين، ومن هنا تبرز حاجته إلى التفاعل معهم وتنظيم العلاقات وفق أسس سليمة تضمن الحقوق والواجبات وتحقق مبدأ الحرية. لكن هذا الإنسان، قبل أن يصل إلى ما يعرف اليوم بالكائن المدني المتحضر، مر بمراحل انتقالية، من الحالة الطبيعية التي ساد فيها مبدأ القوة والسيطرة، إلى الحالة المدنية التي تحكمها مجموعة من القواعد والقوانين.

ولتأطير هذا الكائن في بعده السياسي، سعت الفلسفة السياسية، وخاصة فلسفة العقد الاجتماعي، إلى تأسيس مجتمع مدني حقيقي، قائم على إتفاق بين الحاكم والمحكومين. من هنا، تبرز أهمية مفهومي الحرية والعقد الاجتماعي في الدراسات السياسية، حيث يكتنف مفهوم الحرية آراء متباينة بين المفكرين والفلاسفة، وتتأثر بتغير السياقات الزمنية

والجغرافية. أما العقد الاجتماعي، فيهدف إلى تنظيم الإنسان ضمن الإطار السياسي، مع اختلاف طبيعة وشروط هذا العقد بين الفلاسفة. ويهدف هذا الفصل إلى تقديم رؤية شاملة لهذين المفهومين، بهدف بناء إطار نظري متوازن يمهد لمقارنة النماذج المختارة في الفصول اللاحقة.

المبحث الأول: مفهوم الحرية وتاريخيتها

أولا: تعريف الحرية لغة وإصطلاحا:

الحرية لغة:

يختلف مفهوم الحرية حسب الدلالات التي يوضع فيها:

فكلمة الحرية مشتقة في اللغة الفرنسية من **liberté** وفي اللغة الإنجليزية من **freedomliberty**, و في اللغة اللاتينية من **libertas**

أما في اللغة العربية فقد جاء في لسان العرب **لإبن منظور** "والحر بالضم نقيض العبد والجمع أحرار و حرار والحر نقيض الأمة والجمع حرائر وتحرير الرقبة عتقها وحرره أعتقه وفي الحديث من فعل كذا وكذا فله عدل محرر أجر معتق المحرر الذي جعل من العبيد أحرار" (منظور، 1405، صفحة 188).

جاء أيضا في معجم الوسيط أن الحر هو: "الخالص من الشوائب يقال: ذهب حرٌ: لا نحاس فيه. وغرس حرٌ: عتيق الأصل و_ الخالص من الرق. والكريم. (ج) أحرار وهي حرة. (ج) حرائر ومن الأشياء: أفضلها" (معجم الوسيط، 2005، صفحة 165).

أما الحرية هي: "الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم" (معجم الوسيط، 2005، صفحة 165).

كما يضيف **الراغب الأصفهاني:** "إن الحرَ: خالف العبد، يقال حرٌ بين الحرورية والحرورة، والحرية ضربان: الأول: من لم يجري عليه حكم الشيء والثاني: من لم تتملكه الصفات الذميمة" (الأصفهاني، 2009، صفحة 224).

أما في معجم **جميل صليبا** نجد "الحر ضد العبد والحر الكريم والخالص من الشوائب والحر من الأشياء أفضلها ومن القول أو الفعل أحسنه" (صليبا، 1982، صفحة 461) كما جاء في معجم **لاروس:** "إسم مؤنث من أصل لاتيني ليبرتاس lat_ libertas وتعني حالة الشخص الذي يكون غير خاضع للعبودية" (larousse, 2010, p. 587)

خلاصة القول أن مفردة الحرية في الدلالة اللغوية نقيض كل من الرق والعبودية كما تعني التخلص والتحرر من القيود والمعوقات والشوائب.

الحرية إصطلاحا:

الحرية عامة هي تصرف الإنسان وفقا لإرادته هو دون قيد أو جبر من أحد "الحرية هي خاصة الكائن الذي لا يخضع الجبر ويتصرف بدون قيود" (سعيد، 1994، صفحة 156). لكن بالرغم من ذلك تعددت الأفكار وتباينت الآراء حول هذا المفهوم بحيث أضحى من الصعب حصره في تعريف واحد شامل وكامل فنجد مثلا عند **أندري لالاند** وحده قد حدد عدة صور للحرية بحيث نص على المعنى القديم يقول: "الإنسان الحر هو الإنسان الذي لا يكون عبدا أو سجينا. والحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده شخص آخر سواه؛ إنها غياب إكراه خارجي" (لالاند، 2001، صفحة 727). أما في المعنى العام يقول: "حالة الكائن الذي لا يعاني إكراهاً، والذي يتصرف طبقا لمشيئته ولطبيعته" (لالاند، 2001، صفحة 727).

كما يأخذ هذا المصطلح عنده معاني أخرى من بينها المعنى السياسي والإجتماعي: "عندما يتعلق الامر بهذه الحرية الخاصة أو بالحريات في صيغة الجماعة سيكون هناك سوى تطبيق اجتماعي للمعنى السابق إنما تدل كلمه حر وحرية فقط على غياب اجتماعي مفروض على الفرد بهذا المعنى يكون المرء حرا في أن يفعل كل ما لا يمنعه القانون حرا في أن يرفض القيام بكل ما يأمره بفعله" (لالاند، 2001، صفحة 727).

أما في المعنى النفسي والأخلاقي نجد: "الحرية هي حالة الكائن، الفاعل خيرا أو الفاعل شرا على حد سواء، الذي يحزم أمره بعد روية وهو يعلم الأمر حق العلم والفاعل الذي يعرف ما يريد، ولماذا يريده والذي لا يتصرف إلا بمقتضى الأسباب التي يوافق عليها" (لالاند، 2001، صفحة 729). معناه القدرة على التفكير والشعور دون قيد وأيضا القدرة على إختيار القيم والأخلاق التي تناسب شخصية الفرد واهتماماته بالفعل دون تأثير أي قوى أو دوافع خارجية أو داخلية.

وفي تعريف الحرية أيضا نجد **إبراهيم زكريا** يقول: "نعني بالحرية في المادة تلك الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو، لا إرادة أخرى غريبة عنه" (زكريا، صفحة 16) وهذا ما يدل أن الحرية خاصة بالإنسان وحده يستطيع بفضلها القيام بما يريد واجتناب ما لا يريد وفق ما تمليه عليه إرادته و تعقله.

كما يعرفها **الجرجاني** يقول :"الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة، الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والاغيار، وهي على مراتب: حرية العامة على رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم من إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لإنمحاقهم في تجلي نور الأنوار" (الجرجاني، صفحة 76)

ثانيا: تطور مفهوم الحرية عبر العصور:

الحرية كغيرها من المفاهيم الفلسفية تطورت عبر مراحل لتصل إلى ما هي عليه اليوم لذا نجد:

- **الحرية عند اليونان:**

لفظ الحرية عند اليونان مثلا اتخذ معاني مختلفة "وفي اليونان القديمة كان الحر هو من سلك وفق قانون الطبيعة" (سعيد، 1994، صفحة 293) بمعنى أنّ الإنسان الحر عند اليونان هو الإنسان الذي يتماشى مع الطبيعة معبرا عن متطلباته ودون تجاوز لغرائزه وأهوائه. ثم تطور مفهوم الحرية وارتبط بالمدينة وهي النظام الأساسي عند اليونان بمعنى أن يعيش الإنسان حرا داخل هذه المدينة ولكن بشرط تحقيق المواطنة والمشاركة السياسية والخضوع لقوانين وتشريعات تلك المدينة.

وهنا نجد العديد من الفلاسفة عبروا عن الحرية فمثلا عند **سقراط Socrate** "هي فعل الأفضل والأحسن" (سعيد، 1994، صفحة 293) أي ربطها بالجانب الأخلاقي من حيث فعل الأفضل الخير والأحسن. وعند **أفلاطون Platon** "التحرر من عبودية الضرورة" (سعيد، 1994، صفحة 293) بمعنى التخلص من عبودية العالم الحسي والتوجه نحو العالم المثالي أي نحو العقل والمعرفة. وعند **أرسطو Aristote** "هي الاختيار بالإرادة الحرة" (سعيد، 1994، صفحة 293). وهنا يربط أرسطو الحرية بقدرة الإنسان على الاختيار بين الصواب والخطأ، وهذا الاختيار لابد أن يجمع بين المعرفة والإرادة.

- **الحرية في العصر الوسيط:**

الحرية في الفلسفة المسيحية: عند المسيحين فعل الحرية مرتبط بالإرادة الإنسانية فليس المهم أن يكون الإنسان حرا وإنما أن يكون قادرا على اختيار الخير، لكن هل الإنسان قادر دائما على اختيار الخير؟ ترى المسيحية أن الإنسان كان خير الطبيعة قبل السقوط في الخطيئة بحيث هذه الأخيرة هي التي أفسدته فأصبح متحررا من أي قسر خارجي بالمقابل أصبح عبدا لأهوائه وغرائزه، لذلك وجب تكوين علاقة بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية أي أن يعيش الإنسان المسيحي وفق القانون الأخلاقي والتشريعي الذي وضعه الإله بحكم أن الإنسان فاسد الطبيعة وغير قادر على اختيار الخير من الشر لذلك وجب وجود رقيب ورب يقوم هذه الطبيعة البشرية.

وخير ممثل للفلسفة المسيحية في هذه الفترة هو **القديس أوغسطين*** (354- 430) بحيث ميز أوغسطين بين نوعين من الناس "هم أولئك الذين يغلب عليهم حب الذات فيمارسون الشهوات الحسية ويتبعون الشيطان" (النشار، 1999، صفحة 184) أي أولئك الذين يسعون إلى التعبير عن شهواتهم وغرائزهم وهؤلاء يشكلون ما يسميه المدينة الأرضية أما النوع الثاني فعلى العكس من الأول "أولئك الذين يغلب عليهم حب الله لدرجة إهمالهم لذواتهم" (النشار، 1999، صفحة 185) بمعنى الذين يزهدون في الدنيا وملذاتها رغبة في التقرب من الله وهؤلاء هم مواطنو المدينة السماوية. وفي نظر أوغسطين كي يصل الإنسان إلى الخير المطلق أو المدينة السماوية لا بد له أن يكون حرا وهنا ربط بين الحرية والإرادة أي قدرة الإنسان على الاختيار بين الخير والشر وهذه الأخيرة مردها إلى ملازمة النعمة الإلهية وإذا ما فقدت هذه النعمة فإنها تفقد قدرتها على الإختيار وتصبح عرضة للوقوع في الإثم والخطيئة.

الحرية في الفكر الإسلامي:

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل وبناءاً على تكريمه جاء الإسلام لمحاربة العبودية أنواعها وبالتالي تقديس حرية الفرد في جميع أبعاده الإنسانية "قدس الإسلام حرية الفرد وإتخذ من الحرية ركيزة تستند إليها جميع العقائد والتشريعات والنظم التي سنها للعباد وحرص على تطبيقها في مختلف نواحي الحياة" (بلق، 2019، صفحة 09) بحيث نادى الإسلام **بحرية الاعتقاد** قال تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (البقرة، صفحة 256) تأكيدا على حرية الإنسان في إختيار معتقده مع تحمل المسؤولية المترتبة عن هذا الإختيار، فبما أنه حر فهو مسؤول عن كل أفعاله وتصرفاته وبالتالي يحاسب عليها.

كما نجد أيضا **الحرية السياسية:** وذلك من خلال إقرار مبدأ الشورى وذلك من خلال التشاور بين الحاكم ورعيته في اتخاذ قرارات تحقق المصلحة العامة، إلى غير ذلك من الحريات التي أقرها الإسلام من حرية اجتماعية، وفكرية...

ومن بين أبرز الأسماء في هذه الفترة نجد **أبي نصر الفرابي(260هـ_ 339هـ)*** إذ يعد أحد أهم فلاسفة الإسلام في العصر الوسيط، عرف بلقب "المعلم الثاني" بعد أرسطو حيث حاول التوفيق فيما جاء به الفكر السياسي القديم لأرسطو وأفلاطون وما جاء به الإسلام، وتجسد ذلك في مؤلفه الشهير "آراء أهل المدينة الفاضلة" سعى فيه إلى شرح كيفية التأسيس لمجتمع مدني فاضل قائم على العدالة هدفه الأسمى هو بلوغ السعادة "فتكون الغاية الحقيقية هي السعادة وتكون الأفعال التي بها يتم تحقيق السعادة هي الفضائل والخيرات" (شفيعة، 2010، صفحة 02)، تقوم الأفعال التي تتحقق بها السعادة على الإرادة وهنا يميز الفرابي بين نوعين من أو مفهومين للإرادة، الأول هو "المعنى الضيق والذي يسميه الاختيار والذي يكون محصول الروية والنطق، كما أنه يخص الإنسان وحده" (علوش، 2017) إذ أن الإرادة هنا تشترط الاختيار الحر النابع من التميز والتعقل وهذا ما يجعل الإنسان مسؤولا عن أفعاله، أما النوع الثاني "والمعنى الواسع أو العام، والذي

يكون محصول الإحساس أو التخيل، وهو ما يسميه بالإرادة"(علوش، 2017) بمعنى هنا الإرادة الناتجة عن الإحساس دون تدخل العقل وهذا ما يشترك فيه الإنسان مع الكائنات الأخرى، إذن الحرية عند الفارابي ترتبط ارتباطا وثيقا بالاختيار الإرادي الواعي والعقلاني.

- **الحرية في العصر الحديث:**

شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى ما يعرف بعصر الظلمات حيث ساد الجهل والظلم والإستبداد وسلبت الحقوق والحريات سواء الفردية أو الجماعية. كما فرضت الكنيسة سيطرتها على الفكر. لكن مع القرن السابع عشر والثامن عشر برزت حركة الأنوار كثورة فكرية ظهرت كرد فعل على ما عاشه الأفراد في القرون الوسطى بحيث عرفت هذه الفترة تطورا كبيرا وذلك في جميع المجالات سواء الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية...إلخ بحيث ثم الإعلاء من دور العقل وإلغاء دور الكنيسة المتسلط وكذلك فصل الدين عن الدولة وبالتالي خروج أوروبا من عصر الظلمات إلى عصر الأنوار. من أهم فلاسفة هذه الفترة نجد الفيلسوف **رونيه ديكارت René Descartes * (1596 – 1650)** الذي يلقب بأب الفلسفة الحديثة، ربط ديكارت الحرية بالإرادة والاختيار "إن حريتي لا تتحدد ضرورة في أن أقف عاجزا في الإختيار بين شيئين متناقضين وإنما في إختيار أحدهما والميل إليه" (بهاوي، 2014، صفحة 66) وهذا الإختيار إما يكون بمبدأ الوضوح والبداهة "وإذا كنت أرى بوضوح دائما ما هو حق وما هو جيد فإنه لن يقدر لي إطلاقا أن أحتار فيما يجب أن يكون حكمي أو ما علي أن أختار" (فرانز، بيتر، و فرانز، 2007، صفحة 107) وإما يكون بالإرادة "والإرادة التي لا حدود لها تختار من بين تصورات العقل قرارتها" (فرانز، بيتر، و فرانز، 2007، صفحة 107).

فولتير Voltair (1694_1788):

مع تطور الفكر الفلسفي في القرن الثامن عشر برز **فولتير*** كأحد أبرز رواد حركة الأنوار في فرنسا، بحيث دافع من خلال أفكاره وكتاباته عن الحرية وهاجم التعصب الديني وعرف بأسلوبه الساخر في نقده للكنيسة، كما دعا إلى التسامح وقبول الأخر المختلف سواء في دينه أو فكره أو رأيه. "وعليه ظل فولتير يعتقد أن التنوير هو الوحيد الذي من شأنه خطوة بخطوة أن يصعد لتحرير جل مجالات الحياة؛ وكل العقول تخرج عندئذ تخرج البشرية من مرحلة الظلام الحالك إلى رحابة العقل والعلم ومتنفس الحرية" (برتيمة، 2018، صفحة 07).

عرف فولتير الحرية في قاموسه الفلسفي في الحوار الذي دار بين (أ) و(ب) "أين تكمن حريتك إن لم تكن في تلك القدرة التي مارستها ذاتك على أداء ما اقتضته إرادتك من ضرورة مطلقة؟، أنت تربكني ليست الحرية إذا سوى تلك القدرة على فعل ما أريد أن أفعله" (فولتير، صفحة 190) بمعنى أن الحرية عند فولتير هي القدرة على الفعل بحيث تتعلق هذه الحرية بالقدرة على الاختيار وفق إرادة واعية. إذن هذه الحرية ليست مطلقة بل نسبية وما يجعلها كذلك هو الفعل ذلك لأن الإنسان قد يتعرض أحيانا لبعض المواقف التي تفرض نفسها عليه وتجبره على القيام بفعل مقابل تجنب فعل آخر "إرادتك ليست حرة ولكن أفعالك حرة. أنت حر في الفعل طالما تملك القدرة على الفعل" (فولتير، صفحة 191).

- **الحرية في العصر المعاصر:**

يعد الفيلسوف الفرنسي **جان بول سارتر Jean paul Sartre*** (1905_ 1980) أحد أهم فلاسفة القرن العشرين ومؤسس المذهب الوجودي في الفكر الفلسفي، ترتبط الحرية في فلسفة سارتر بالوجود الإنساني ارتباطا وثيقا، هذا الوجود الذي يعبر عنه عند سارتر بالوجود الأسبق من الماهية أي أن الإنسان يوجد أولا ثم يثبت وجوده من خلال

أفعاله واختياراته "فهنا نجد أنّ ملامح الحرية في علاقتها بالوجود تتحدد عندما يحدد الإنسان ماهيته بعد وجوده" (الدين، 2023، صفحة 07) أي أن وجود الإنسان وماهيته يتحقق عندما يختار أفعاله بكل حرية وإرادة تامة دون وجود لأي سلطة خارجية سواء إلهية أو طبيعية أو بشرية " فعند سارتر الحرية ممارسة أولا وقبل كل شيء ، وهي لا تمتلك إلا أن تكون ممارسة لأنها لا تقوم إلا في قلب المواقف ومن خلالها" (عويضة، 1993، صفحة 31)، فبما أن هذا الإنسان حر حرية تامة ولا أحد يملي عليه ما يجب أن يفعله إذا هو يصنع نفسه بنفسه وبالتالي لا أحد يحاسبه هنا يصبح مسؤولا عن كل ما يصدر عنه من أفعال وقرارات ولا بد أن يتحمل نتائج اختياراته، هذا الشعور بالمسؤولية يولد لديه القلق لأنه يعتمد على ذاته دون توجيه من قوة تحدد له الصواب من الخطأ، وبذلك فهو مجبر في أي موقف يوضع فيه أن يختار ما يناسبه كما أن مواجهته لتحديات ومواقف الحياة هي التي تفاقم لديه الشعور بالقلق والضياع "يقول سارتر: إن هذا القلق شيء طبيعي في حياة الإنسان الحر المسؤول ولا يقصد به القلق المرضي. فيقول: إن القلق الذي نعنيه هنا ليس هو القلق الذي يؤدي إلى الإستكانة واللافعل لكن القلق البسيط الذي يعرفه كل من تحمل مسؤولية في يوم من الأيام" (عويضة، 1993، صفحة 25)، إذن الحرية عند سارتر إلتزام ومسؤولية أخلاقية لا تأثر في الفرد وحده بل على الإنسانية جمعاء.

المبحث الثاني: جينيالوجيا وكرونولوجيا مصلح العقد الإجتماعي:

أولا: تعريف العقد لغة وإصطلاحا:

أ. لغة:

العقد في اللغة الفرنسية contrat وفي الإنجليزية contrat وفي اللاتينية contractus.

أما في اللغة العربية فقد جاء في لسان العرب: "العقد نقيض الحل، عقدهُ يعقدهُ عقداً وتعقاداً وعقدة" (منظور، 1405، صفحة 296).

كما جاء في معجم الوسيط أن العقد هو "ما عقد من البناء. و– العهد – و إتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كل منهما تنفيذ ما إتفقا عليه كعقد البيع والزواج. وعقد العمل (مج). و– من الأعداد: العشرة والعشرون إلى التسعين.(ج) عقود. وصيغ العقود جمل ينشأ بها العقد كقولهم زوجتك وبعتك" (معجم الوسيط، 2005، صفحة 614).

خلاصة القول أن العقد في دلالته اللغوية يعنى كل اتفاق بين طرفين أو أكثر يلتزم فيه كل طرف بمراعاة شروط الطرف الآخر وعدم إلحاق الضرر بأي من الطرفين.

ب: إصطلاحا:

جاء في معجم لالاند الفلسفي أن العقد هو "اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص تجاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء، ما بالقيام أو بعدم القيام بشيء ما" (لالاند، 2001، صفحة 224).

لقد عرف مفهوم العقد ضمن مجالات متعددة: فمن الناحية القانونية نجد "فالعقد في القانون اتفاق بين شخصين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه دفع مبلغ من المال أو أداء عمل من الأعمال لشخص، آخر أو لعدة أشخاص" (سعيد، 1994، صفحة 288) وهنا نجد أن

هذا العقد ذات طبيعة إلزامية بحيث يتعهد فيه الطرفان بضرورة تنفيذ التزاماتهما. أما العقد في فلسفة الأخلاق على العكس من ذلك فهو ليس التزام قانوني بل التزام أخلاقي يقوم على حرية الأطراف المتعاقدة "العقد في فلسفه الاخلاق هو ارتباط حر بين شخصين أو أكثر" (سعيد، 1994، صفحة 288). كما نجد عقد العمل هو "اتفاق يلتزم شخص بمقتضاه أن يعمل في خدمه شخص آخر لقاء أجر معين" (سعيد، 1994، صفحة 288).

أما في الفلسفة "يقال عقد على ما يكون ثنائي الطرف أو متعدد الطرف أي ما يتضمن التزامات أو تعهدات متبادلة" (لالاند، 2001، صفحة 224) يشير العقد في الفلسفة إلى علاقة قائمة بين طرفين مهما كان المجال الذي ينتمي إليه هذا العقد وهذا ما يتجلى في نظرية **العقد الاجتماعي (contrat social)** تعرف هذه النظرية بأنها "اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة العامة التي تنتظم بها حياه الكل" (صليبا، 1982، صفحة 851).

ثانيا: حول العقد الإجتماعي:

تُعتبر نظرية العقد الاجتماعي من الأسس الهامة في مجال الفلسفة السياسية، حيث تسعى إلى توضيح كيفية نشوء السلطة السياسية وتبريرها. وتقوم هذه النظرية على فكرة أن الأفراد يتفقون بشكل طوعي على إقامة عقد اجتماعي فيما بينهم ومع الدولة، وبموجب هذا الاتفاق، يتنازلون عن بعض حقوقهم وحرياتهم مقابل الحصول على الحماية وضمان استقرار النظام الاجتماعي، ويمكن تتبع جذور فكرة العقد كالاجتماعي من العصور القديمة في اليونان وروما، حيث طرح فلاسفة بارزون مثل أفلاطون وشيشرون تصورات حول وجود اتفاق ضمني بين الأفراد والدولة. ومع ذلك، لم تتبلور نظرية العقد الاجتماعي كإطار فلسفي متكامل للسلطة السياسية إلا خلال عصر التنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث شهدت أفكارها تطورًا كبيرًا وأصبحت محورًا للدراسات الفلسفية والسياسية.ولا تزال نظرية العقد الاجتماعي ذات صلة بالخطاب السياسي المعاصر. فهو يوفر إطارا نظريا لفهم العلاقة بين الأفراد والدولة، فضلا عن الأساس للشرعية السياسية.

أ: المفاهيم الأساسية لنظرية العقد الاجتماعي:

حالة الطبيعة:Etat de Nature, statue of nature

الحالة الطبيعية هي الحالة التي يكون عليها الأفراد قبل تشكيل المجتمع المدني أو الدولة أو الحكومة، بحيث إعتبرها هوبز حالة فوضى وصراع أما لوك رآها قائمة على أساس القانون الطبيعي أما عند روسو فكانت مبنية على السعادة والأمن والسلام.

الموافقة:consentement, consent

تعني قبول الأفراد وموافقتهم على قوانين العقد وتختلف هذه الموافقة عند فلاسفة العقد الإجتماعي فعند هوبز فيها نوع من الجبر والقسر وذلك بسبب حالة الفوضى والصراع

بدافع الانتقال إلى حياة أفضل أما لوك فيرى أنه لا حكومة مدنية إلا إذا قامت على موافقة الشعب لكن روسو يربطها بالإرادة العامة اي بالموافقة الجماعية

الشرعية:Légitimité, Legitimacy

"هي مجموعة العناصر الفكرية– الرمزية التي يستطيع الحاكم بواسطتها إقناع المحكومين بأحقيته في الحكم" (السياسية، 2014، صفحة 42) بمعنى المبدأ أو الأساس الذي يبرر وجود سلطة أو حكومة، هوبز يبرر الشرعية لحاجة الناس إلى الاستقرار أما لوك إلى موافقة الشعب أما روسو ينسبها إلى الإرادة العامة التي تعبر عن الشعب ككل.

ب: شخصيات ومساهمات تاريخية:

توماس هوبز (1588_ 1679):

يعتبر **توماس هوبز*** مؤسس نظرية العقد الاجتماعي ومفهوم الدولة في العصر الحديث، وقبل الحديث عن العقد الاجتماعي عنده فإنه يبحث في البداية في الحالة الطبيعية للإنسان بحيث يرى أن الإنسان في حالته الأولى شرير بطبيعته وميال للبقاء والسيطرة والحكم وإذا كان الكل كذلك تنزع بينهم علاقة حرب، حرب الكل ضد الكل ينعدم فيها الأمان والاستقرار وينتشر الخوف والموت. غير أن هذه الحرب تدفع الإنسان للانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية و تأسيس المجتمع السياسي القائم على قوانين أساسية وهي البحث عن السلام، التنازل عن جزء من الحق الطبيعي وإتمام التعاقد بين الناس يرى هوبز أن العقد هو الوسيلة الوحيدة لضمان حقوق الأفراد وحريتهم، وهو عبارة عن اتفاق بين الناس أو الافراد يتنازلون عن إرادتهم لإرادة الحاكم وهو ما أسماه هوبز بالليفياثان أو الثنين. الذي قام الأفراد باختياره إذ لا يعتبر طرف في العقد والمقابل يسعى هذا الحاكم لعمل كل ما يراه صالحا لرعيته.

جون لوك John lok (1632_ 1704):

يعتبر **جون لوك*** إسم بارز في الفلسفة التجريبية وثاني فلاسفة العقد الاجتماعي بعد هوبز بحيث يرى أن الإنسان خير الطبيعة البشرية وفي حالته الأولى كان يتمتع بالحرية والأمان ويعيش في سلام تام لكن الناس برأيه غير قادرين في هذه الحالة على حماية حقوقهم وممتلكاتهم وبالتالي يلجئون إلى إبرام العقد فيما بينهم بحيث يتم إختيار شخص يتولى مهمة الحكم لكن لوك على العكس من هوبز فالعقد هنا يتضمن طرفان الأفراد من جانب والحاكم من جانب آخر إذ يتنازل الأفراد عن جزء من حريتهم بالمقابل يعمل الحاكم على تنظيم المجتمع وتحقيق العدل والمساواة والحرية بينهم، وإذا أخل الأفراد بالتزاماتهم يجوز للحاكم معاقبتهم وذلك ينطبق عليه أيضا إذا أخل بالتزامات العقد فيحق للأفراد عزله عن منصبه.

جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau(1712_ 1778):

يعتبر **روسو*** أهم فلاسفة العقد الاجتماعي بعد هوبز ولوك. يرى روسو أن الإنسان خير الطبيعة البشرية وأنه كان في حالته الأولى متمتعا بالحرية والمساواة وأن الطبيعة هي التي احتضنته ووفرت له كل شيء ليعيش بسعادة، لكن هذه الحالة ما لبثت أن تغيرت عندما ظهرت الملكية الخاصة وبالتالي ظهور التفاوت بين الناس والصراع والحروب في المجتمع، ومن هنا يتفق روسو مع هوبز ولوك بأن إبرام العقد هو الحل الأمثل لقيام مجتمع سياسي منظم، إلا أن روسو تصور أن هذا العقد يضم طرفان الطرف الأول وهو مجموع الأفراد المتعاقدين، أما الطرف الثاني وهو كل فرد من الجماعة، ومن هنا فإن الحاكم ليس طرفا في العقد وإنما يعتبر وكيل أو ممثل عن الرعية يحكم وفق إرادتها هي و ليس وفق إرادته الخاصة.

الفصل الثاني: تجليات الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي عند هوبز وروسو.

المبحث الأول: الحرية عند توماس هوبز

أولا: هوبز بين فوضى إنجلترا وواقعية ميكيافيلي

ثانيا: هوبز: الإنتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية

المبحث الثاني: الحرية عند جان جاك روسو

أولا: روسو: كيف شكلت أحداث فرنسا رؤيته السياسية؟

ثانيا: من الحرية الطبيعية للحرية المدنية

توطئة:

يعد مفهوم الحرية أحد أهم الإشكاليات التي تبناها مفكروا العقد الإجتماعي حيث حاول كل من هوبس وروسو ربطها بالنظام السياسي الخاص بالعقد الإجتماعي إذ نجد هوبز انطلق في تفسيره للحرية متأثرا بواقع الفوضى السياسية التي عاشها في إنجلترا بينما روسو فقد تأثر بالأوضاع السياسية والإجتماعية لفرنسا وبالتالي سنحاول في هذا الفصل تقديم رؤية كل منهما للحرية بداية من تأثرهم بأوضاع بلدانهم ثم تطرق إلى الحرية داخل فلسفه العقد سواء في الحالة الطبيعية أو الحالة المدنية إلى غاية العقد الاجتماعي.

المبحث الأول: الحرية عند توماس هوبز

أولا: هوبز بين فوضى إنجلترا وواقعية ميكيافيلي

الإضطرابات السياسية والثورة في إنجلترا:

لفهم السياق الفكري والسياسي لفلسفة هوبز لابد من التطرق إلى التغيرات التاريخية التي عايشها والتي تركت أثرا عميقا تجسد في كتابه الشهير الليفيتان.

شهدت إنجلترا خلال القرن السابع عشر عدة إضطرابات سياسية بداية مع الملك شارل الأول "إعتلى شارل الأول العرش فورث عن أبيه تركة مثقلة بالخلاف بين الملك والبرلمان" (البطريق و عبد العزيز، 1997، صفحة 199) نتيجة لهذا الصراع سعى شارل إلى تثبيت حكمه المطلق فقام بحل البرلمان وفرض الضرائب "إذ كان يفرض قروضا إجبارية على طبقة التجار وأصحاب السفن والصناع وغيرهم من الطبقة الوسطى" (البطريق و عبد العزيز، 1997، صفحة 199) أدت هذه القرارات الإستبدادية إلى زيادة حدة الصراع وقيام الثورة بين أنصار الملك(الفرسانcavaliers) وأنصار البرلمان (ذوي الرؤوس المستديرة Olivar Cromwell) وإنتهت بإعدام الملك شارل عام 1958 وإستلام كارماويل الحكم.

أعلن كارماويل تأسيس الجمهورية الإنجليزية التي أطلق عليها إسم **رابطة الشعوب البريطانية Commonwealth** وحاول إصلاح الحكم ووضع دستور جديد لضبط قوانين البلاد وتنظيمها إلا أنه ما لبث أن تحول إلى حاكم استبدادي وحكم البلاد حكما دكتاتورياً إستمر إلى غاية وفاته سنة 1658. تولى الحكم بعده إبنه ريتشارد لكنه فشل في السيطرة على النظام فإنتقل الحكم إلى شارل الثاني الذي يشبه أبيه في حكمه وعادت معه الملكية لكن بشكل مقيد من طرف البرلمان "لكن شارل كان حذرا في علاقاته بالبرلمان الذي أطاح بأبيه فكان يحرص على عدم إثارته أو إغضابه حتى لا يندفع مرة أخرى في طريق التطرف" (البطريق و عبد العزيز، 1997، صفحة 208).

من هنا نجد أن كل هذه الأحداث المتقلبة التي عايشتها إنجلترا من فوضى سياسية وإنقسامات داخلية إلى غاية الحرب أثرت في رؤية هوبز السياسية وكانت دافعا أساسيا في كتابة مؤلفه الليفيثان "لقد كان هوبز يأمل أن يضع نظرية سياسية تقوم على قواعد راسخة بحيث تقضي على البلبلة والإضطراب الفكري الذي ساد الحياة الانجليزية آنذاك" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 25). فالحرب الأهلية والصراعات الدموية شكلت لديه رؤية أن البشر يميلون إلى الصراع فيما بينهم بحكم طبيعتهم البشرية وأن حريتهم المطلقة تؤدي إلى الدمار هذا ما دفعه إلى الدعوة لفرض السلطة المطلقة التي لم يهتم بيد من تكون سواء بيد رجل واحد وهو الحاكم أو مجموعة من الرجال وهم البرلمان من ثم ينشئون دولة بموجب عقد إجتماعي يتنازلون فيه عن جزء من حريتهم وحقوقهم مقابل الحرية والإستقرار العام.

ميكيا فيلي Niccolo Machiavelli (1469_ 1527):

يعتبر **ميكيافيلي*** أحد أهم الفلاسفة السياسيين في أوروبا فقد عاصر فترة ثورات وانقسامات داخلية في إيطاليا مما جعله يهتم بالتنظير للسلطة لأجل إستقرار الدولة من

هذا المنطلق نتساءل كيف ساهم الفكر السياسي لدى ميكيافيلي في تشكيل الفكر السياسي الذي تبناه هوبز؟

أثر الوضع السياسي المضطرب الذي عايشه في بلورة مشروعه الفكري الذي سعي من خلاله إلي تحقيق الوحدة في إيطاليا وقد اكتسب شهرة من خلال كتابه الأمير "ففي هذا المؤلف الذي لم يكن بحثا في الفلسفة السياسية لم يتساءل ميكيافيلي ما هو الحكم الأفضل ولا ما هو الحكم المشروع ولا ما هي السلطة أو الدولة عموما بل اكتفى مفكرا في الوضع الإيطالي بالتساؤل كيف نجعل النظام يسود؟ وكيف نقيم دولة مستقرة؟" (توشار، 2010، صفحة 353) ويرى ميكيافيلي أن السبيل الأمثل لبناء الدولة هو إستخدام القوة ويجب أن ترتكز هذه القوة في يد رجل واحد وهو الحاكم.

كما يؤكد ميكيافيلي بشدة على ضرورة فصل الدين عن السياسة إذ يري أن الكنيسة سببت فساد الدولة "لأنه اعتقد أن الكنيسة عملت على إنقسام الدولة وإبقائها في حالة الضعف لم يرضها لها" (مهنا، 1999، صفحة 244) فهي من وجهة نظره تجاوزت دورها الديني وتدخلت في الأمور السياسية.

ويدعوا ميكيافيلي أيضا بضرورة فصل السياسة عن الأخلاق وأن الحاكم الحق ليس من يتميز بقيم مثالية وصفات أخلاقية بل علي العكس من ذلك "على الحاكم أن يتصف بقوة الأسد ودهاء الثعلب لكي يستطيع تثبيت حكمه والدفاع عنه" (مهنا، 1999، صفحة 245) من هنا يبرر للحاكم استخدام كل الوسائل للحفاظ على حكمه ولضمان الأمن والاستقرار داخل الدولة ومنها إستخدام العنف والمكر والخداع فالغاية في نظره تبرر الوسيلة "فإذا نجح الأمير في أن يحفظ حياته وأن يصون دولته، فإن جميع الوسائل التي يكون قد توسل بها يحكم عليها بأنها مشرفة " (توشار، 2010، صفحة 354) كما أن الحاكم أو الأمير في نظره لا بد له أن يدعم يحصن نفسه ب "وأهم دعائم كل الامارات سواء كانت جديدة أم قديمة أم مختلطة هي وجود القوانين الجيدة والأسلحة الجيدة" (ميكيافيلي، 2004، صفحة 66) القوانين من

أجل ضبط النظام الداخلي والخارجي والسيطرة على الرعية أما الأسلحة تستخدم للدفاع على الممتلكات ووقت الحروب، كما على الحاكم أن يحصن نفسه برجال أمناء وجيش قوي "ويمكن أن نقيم الحاكم وعقله حين نرى من يحيط به من الرجال" (ميكيافيلي، 2004، صفحة 112).

لكن ميكيافيلي لم يقتصر عند هذا الحد من التركيز على الحكم الفردي بل دعا الى إقامة النظام الجمهوري متأثرا بالنموذج الروماني، فقد سعى لإستعادة الجمهورية ولكن بطريقة حديثة تختلف عن السابق وذلك عن طريق **الدكتاتورية*** وهذه الدكتاتورية هي أداة مؤقتة ضرورية لفترة معينة تمهد لإقامة دولة القانون لاحقا، وبالتالي فإن فكر ميكيافيلي لا ينحصر في التبرير للعنف والاستبداد فقط كما يرى البعض وإنما يتجاوز ذلك رغبة في تحقيق الإستقرار السياسي والإنتقال من الفوضى إلى النظام.

وفي هذا الإطار نجد أن هوبز شبيه ميكيافيلي فكلاهما إنطلق من واقع بلادهما لطرح أفكارهما، "وليست هذه النزعة الميكيافيلية بغريبة على فلسفة هوبس وكلاهما وليد ظروف بلاده التي سادتها الحروب والمنازعات فلا عجب أن تسود فلسفتيهما النظرة الواقعية والإتجاه المادي وإقرار العنف والقوة شريعة لا بديل لها" (مطر، الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس، 1995، صفحة 60) فإذا كان ميكيافيلي رأى أن الناس يتصارعون فيما بينهم كل وراء مصلحته الخاصة نجد أن هوبز قد تبنى هذه الفكرة في قوله بأن الإنسان أناني بطبعه وأن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان. وبالتالي فكلاهما يبرر للعنف في الحفاظ على الدولة؛ فإذا كان ميكيافيلي يشرع العنف كوسيلة لضمان الإستقرار، فإن هوبز يشرع القوة لحماية الأفراد من الفوضى التي يكونون عليها في الحالة الطبيعية ومن ثم يدعوا إلى إقامة الحكم الفردي المطلق كشرط أساسي للحفاظ على الحرية العامة.

من خلال التحليل السابق نجد أن فلسفة هوبز لم تكن وليدة اللحظة بل نتاج تجربة واقعية بين حرب إنجلترا وواقعية ميكيافيلي مكنته من بناء نظريته السياسية.

ثانيا: الإنتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية:

تناول هوبز في كتابه الليفياثان أو التنين مراحل تطور المجتمع البشري إنطلاقا من الحالة الطبيعية التي اعتبرها مجموعة من الصراعات والفوضى الدائمة حيث الإنسان ذئب لأخيه الإنسان مما يوجب على الأفراد بدافع الرغبة في البقاء إلى إبرام عقد فيما بينهم بحيث يتنازلون عن حريتهم وحقوقهم لصالح سلطة عليا ومطلقة تتكفل بحفظ النظام وتسيير شؤون البلاد وبموجب هذا العقد تنشأ الدولة كأداة لحماية الأفراد من حالة الفوضى التي كانوا عليها سابقا، من هنا نتساءل كيف يصف هوبز مراحل تطور المجتمع السياسي وما موقع الحرية ضمن هذا التحول؟

الحالة الطبيعية:

في كتابه **الليفياثان*** ينطلق هوبز في تفسيره للحالة الطبيعية ومما يجب معرفته أن هذه المرحلة ليست حقيقية بالضرورة بل هي إستنتاج منطقي بناه نظرا لتحليله طبيعة الإنسان "فهي حالة خيالية تصور لنا ما يمكن أن يغدوا عليه البشر فيما لو انعدم وجود تأثير السلطة أو القوانين والضوابط في حياتهم" (الجبار، 2007، صفحة 148) بمعنى كيف كان يعيش الأفراد قبل نشوء الدولة وقبل وجود الحاكم وسن القواعد والقوانين وبالتالي نتساءل كيف تصور هوبز الحالة الطبيعية؟

يقول هوبز في هذا الصدد "إن الطبيعة جعلت البشر متساويين في ملكات الجسد والفكر" (هوبز، 2011، صفحة 131) أي أن الطبيعة جعلت من جميع الأفراد متساوين سواء في القدرات الجسدية أو القدرات الفكرية رغم وجود فروقات ظاهره مثلا كان يكون أحدهم أقوى من الآخر جسديا إلا أن هوبز يرى أن الأضعف يستطيع تعويض ضعفه بوسائل أخرى مثل اللجوء إلى الحيلة، نتيجة لهذه المساواة في القدرة تنتج مساواة الأمل بمعنى أن كل فرد يرى نفسه قادرا على تحقيق ما يريد، إذا فالإنسان عند هوبز ميال بطبيعته في حبه للحرية وفرض السيطرة والبقاء وبالتالي هذه المساواة في القدرة وفي الأمل تولد الصراع بين

الأفراد بحيث كل فرد يسعى لدعم مصالحه وتحقيق رغباته على حساب الآخرين إذن فالإنسان شرير الطبيعة البشرية حسب هوبز "يحاول السعي لتحقيق قوته وزيادتها من أجل تأمين نفسه باعتباره ليس كائنا اجتماعيا بطبيعته كما يظهر مع أرسطو ولا كائنا عقليا كما يرى التنويريين إنه كائن شرير مليء بالنواقص مدفوعا بالمصلحة الذاتية" (الجميلي، 2023، صفحة 21) ففي هذه المرحلة التي يعيش فيها الأفراد دون سلطة تحكمهم وتنظمهم تنشأ بينهم علاقة حرب يطلق عليها هوبز اسم "حرب كل إنسان وإنسان آخر" أي حرب الكل ضد الكل وليس الحرب بمعناها المنحصر في القتال وإنما الاستعداد لها فقط من حيث غياب السلم وانعدام الحرية والمسؤولية، ويحدد هوبز ثلاثة أسباب رئيسية للصراع وهي "الأول هو المنافسة والتاني عدم الثقة والثالث المجد" (هوبز، 2011، صفحة 134) السبب الأول للحرب هو المنافسة فبما أن الكل يسعى لتحقيق ذاته وإشباع رغباته فإن الكل يسعى للحصول على الثروات أو الوصول إلى المناصب العليا وذلك لكسب مكانة تؤهلهم للقضاء على الخصم وبسبب هذه المنافسة تنعدم الثقة بين الأفراد وهو ثاني أسباب الصراع "وعلى هذا النحو تنعدم الثقة بين كل فرد وغيره بل بينه وبين الناس جميعا" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 318) وبالتالي يزداد الصراع بينهم فيسعى كل فرد لتحقيق سمعته أمام الآخرين وهو ثالث أسباب الصراع ما أسماه هوبز بالمجد فإذا كان كل فرد يقدر ذاته فإنه ينتظر من الآخرين أن يعترفوا بقيمته أيضا، لكن لابد له في الوقت نفسه أن يواجه الاحتقار فإما أن يتغلب على محتقريه بجميع الوسائل وإما أن يعيش محتقرا "ولهذا السبب فقد يقوم نزاع أو شجار لسبب تافه كلمة أو إبتسامة أو رأي مخالف أو أي بادرة أخرى تحط من قيمة الفرد" (هوبز، 2011، صفحة 134) بسبب هذه العوامل يزداد الصراع حدة ويفسد كل شيء بحيث لا مكان للعمل ولا لزراعة الأرض، ولا ملاحة، ولا آداب، ولا فنون، لا قانون، ولا حكم، لا نظام، ولا حتى مجتمع، وإنما وجود فضيلتان أساسيتان وهما القوة والغش. وفي الأخير حسب هوبز يمكن للفرد أن يخرج من هذه الحالة "مع أن لديه إمكانية للخروج منها، وهي تكمن في جزء منها في أهوائه وفي الجزء

الآخر في عقله" (هوبز، 2011، صفحة 137) بمعنى أن الفرد لا بد له أن يحب السلام بدل الحرب تم يستخدم عقله لتنظيم المجتمع وسن القوانين. "كما أننا عرفنا بأن خلاص البشر من حالة الطبيعة إنما يتحقق برأي هوبز بتظافر جهد كل من الإنفعالات والعقل" (الجبار، 2007، صفحة 153).

الحالة المدنية:

بعد فترة الحرب التي عاشها الأفراد في الحالة الطبيعية يرى هوبز كما ذكرنا سابقا بأن الأفراد بإمكانهم أن ينتقلوا إلى مرحلة أخرى أفضل من ذي قبل سواء باستخدام مؤهلاتهم الغريزية وأهوائهم وإنفعالاتهم أو بإستخدام مؤهلاتهم العقلية، وبالتالي ينتقلون من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية التي تسود فيها قوانين الطبيعة. وبالتالي نتساءل كيف تصور هوبز هذه المرحلة وكيف فرق بين الحقوق الطبيعية والقوانين الطبيعة؟

- **الحقوق الطبيعية:**

يقول هوبز في هذا الصدد "إن الحق بمقتضى الطبيعة وهو ما يسميه الكتاب بوجه عام Jus Naturel هو حرية كل إنسان في أن يستخدم قوته وفق ما يشاء هو نفسه من أجل الحفاظ على حياته، وبالتالي في أن يفعل كل ما يرى بحكمه وعقله أنه افضل السبل لتحقيق ذلك" (هوبز، 2011، صفحة 138). يقصد بالحرية عنده غياب كل معيق وكل حاجز خارجي يمكنه أن يحد من حرية الإنسان، وهذه الأخيرة تتمثل في فعل الإنسان ما يريد وبجميع الوسائل الممكنة. وقد حدد هوبز هذه الحرية في أربعة حقوق طبيعة وهي كالتالي:

الحق الأول: وهو حق البقاء أو المحافظة على الذات، ويعتبر غاية حيث تنبع منها كل الحقوق الأخرى، كما يعد مسلمة عقلية بديهية إذ أن غاية الإنسان الكبرى هي المحافظة على حياته.

الحق الثاني: هو حق الوسيلة، أي إمكانية استخدام جميع الوسائل الضرورية لتحقيق الغاية الأولى وهي ضمان بقائه و وجوده. "فإذا كان من حق الذات المحافظة على نفسها فإنه يترتب منطقيا على هذا الحق حق آخر هو أن يكون من حق هذه الذات استخدام كافة الوسائل الضرورية التي تكفل تحقيق هذه الغاية" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 334).

الحق الثالث: وهو حق الإنسان في اختيار أنواع الوسائل التي تكفل حق المحافظة على بقائه "يترتب عن هاتين الحقين (حق الغاية وحق الوسيلة) حق الثالث وهو أن يكون من حق الإنسان تقرير أنواع الوسائل الضرورية التي تكفل له تحقيق الغاية"(إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 335).

الحق الرابع: حق الملكية أي أن للفرد الحق في إمتلاك أي شيء يجده أمامه "الكل يملك كل شيء وبالتالي لا أحد يملك شيء" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 336) أو بمعنى آخر للفرد الحق في امتلاك ما يريد بالقدر الذي يريد في الوقت الذي يريد.

هذه الحقوق التي ذكرها هوبز والتي من المفترض أن تكون صفات طبيعية مكتسبة، ما تلبث أن تؤدي في الأخير إلى حالة الحرب والصراع، لأنه لا يمكن ممارسة هذه الحقوق دون وجود قوانين تضبطها. لذا نتساءل فيما تتمثل هذه القوانين الطبيعية؟

القانون الطبيعي: يقصد هوبز بقانون الطبيعة: " Lex Natural isهو مبدأ أو قاعدة عامة يحددها العقل، بها يمنع الإنسان من فعل ما هو مدمر بحياته أو ما يقضي على وسائل الحفاظ عليه" (هوبز، 2011، صفحة 139) بمعنى أن قانون الطبيعة هو قانون عقلي منطقي يمكننا من اختيار ما يضمن لنا المحافظة على حياتنا واستبعاد كل ما هو مدمر لها.

ويحدد هوبز مجموعة من الخصائص والصفات لهذه القوانين، لابد من ذكرها قبل التطرق إلى مضمونها:

أولا القوانين الطبيعة هي قوانين عقلية: إن أهم خاصية لهذه القوانين أنها عقلية يستدل عليها باستخدام العقل، وذلك لحفظ الحياة ولتحقيق البقاء. على سبيل المثال إن أول قانون طبيعي عند هوبز هو السعي إلى تحقيق السلام إذ هو استنتاج عقلي، لأنه دون سلام يعم الحرب والصراع.

ثانيا القوانين الطبيعية هي قوانين أخلاقية: ثاني خاصية لهذه القوانين أنها ذات طبيعة أخلاقية، لأنها تحدد لنا ما هو خير مما هو شر وتؤدي إلى تحقيق العدل والإنصاف. "وإذا كان السلم هو الخير الحقيقي وما يؤدي إليه لابد أن يكون خيرا فإن قوانين الطبيعة هي بالضرورة قوانين أخلاقية" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 344).

ثالثا القوانين الطبيعية هي قوانين إلهية: الخاصية الثالثة، وهي أن القوانين الطبيعية هي قوانين إلهية، فبما أنها قوانين عقليه والعقل هبة من الله فبالتالي ما يقره العقل يعبر عن إرادة الله "ذلك لأن العقل هو قانون الطبيعة هو نفسه عطية من الله لكل إنسان حتى يحكم به على أفعاله ويسيطر على تصرفاته" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 344).

وقبل التعرف على مضمون القانون لابد من التفرقة بينه وبين الحق حيث يقول هوبز " فعلى الرغم من أن الذين يتكلمون عن هذا الموضوع يخلطون عادة بين lexأو jus بين الحق والقانون، غير أنه يجب التمييز بينهما لأنّ الحق يقوم على حرية الفعل أو عدمه بينما القانون يحدد ويلتزم أحد الامرين. لهذا يختلف القانون والحق بقدر ما يختلف الإلزام والحرية وهما لا يصحان معا في موضوع واحد" (هوبز، 2011، صفحة 139)".

ويمكن أن نلخص هذه القوانين كما ذكرها هوبز كالتالي:

القانون الأول: إن أول قوانين الطبيعة عند هوبز هو السعي إلى تحقيق السلام إذ يقول "إن أول جزء من هذه القاعدة يتضمن قانون الطبيعة الأول والأساسي وهو أن يسعى إلى السلام ويتبعه" (هوبز، 2011، صفحة 140) لذلك يعتبر السلام هو الغاية الكبرى عند هوبز ومنه استنبط القوانين الأخرى التي تحقق هذه الغاية.

القانون الثاني: الاستعداد للتنازل عن الحقوق الطبيعية، بمعنى أن يستعد الأفراد للتخلي عن جزء من حقوقهم وحرياتهم لصالح المجتمع وتحقيق الغاية الكبرى المتمثلة في السلام، ويجب أن يتم هذا التخلي بشكل متبادل بين الجميع، ويستشهد هوبز هنا بقانون الإنجيل فيقول: "أيا يكن ما تطلب أن يفعله الآخرون لك، هذا هو ما عليك فعله لهم وهو أيضا قانون كل البشر" (هوبز، 2011، صفحة 141) ويتم هذا التخلي بطريقتين: الأولى أن يتخلى عنه لأنه لم يعد ذا فائدة، أو يتم تفويضه إلى شخص آخر. ولابد أيضا أن يقوم التخلي على شرطين: أولا أن يتم التنازل عن الحقوق ببساطة وطواعية دون إكراه، وثانيا أن لا يكون هذا التخلي إلى درجه إلحاق الضرر بالنفس، لأن الحفاظ على الحياة وتحقيق السلام هو أساس كل الحقوق "إن الدافع والغاية من وراء التخلي عن الحق أو تفويته ما هو إلا أمن شخص الإنسان في حياته وفي وسائل حفظ الحياة" (هوبز، 2011، صفحة 142).

القانون الثالث: إبرام العهود والمواثيق: أي ضرورة الإلتزام بالوفاء بالعقود والعهود المبرمة بين الأفراد، لكن يشير هوبز أن مجرد التعهد الأخلاقي لا يكفي بل لابد أن يكون الإلتزام فعليا وذلك لا يقوم إلا بوجود سلطة سياسية "لهذا القانون الثالث يحتم قيام سلطة عليا للإشراف على تنفيذ العهود والمواثيق التي اتفق الناس فيما بينهم على عقدها" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 351). كما يحق لهذه السلطة استخدام العنف لأن القوة في السلطة تحفظ الأفراد من حالة الصراع والحرب التي كانوا عليها في الحالة الطبيعية.

كما ذكر هوبز عدة قوانين أخرى، من بينها الإحسان للغير، وضرورة التخلي بصفات التسامح والصفح، وضرورة تجنب إلحاق الأذى بالآخرين، ونبذ كل صفات الكراهية والاحتقار. وكل هذه القوانين تهدف إلى غاية واحدة متمثلة في القانون الأول الذي يدعوا إلى تحقيق السلم والسلام وضمان حرية الأفراد والعدالة والمساواة.

العقد الاجتماعي:

إن العقد كما عرفناه من قبل "هو التجمع البشري الذي يشكل الدولة جاء نتيجة اتفاق واع بين الأفراد بعضهم وبعض من ناحية أو بينهم وبين الحاكم من ناحية أخرى" (إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، 1985، صفحة 366) ويرى هوبز أن العقد الإجتماعي هو الوسيلة الوحيدة لانتقال الأفراد من حالتهم الطبيعية إلى الحالة السياسية، ومن حاله الصراع والفوضى إلى حالة الأمن والحرية والسلام. ولا يتحقق هذا العقد إلا بتكوين الدولة أو الحكومة "كذلك وبغية التوصل إلى السلام وبفضله إلى حب البقاء صنع البشر رجلا إصطناعيا وهو ما نسميه بالدولة كما صنعوا سلاسل إصطناعية تدعى القوانين المدنية" (هوبز، 2011، صفحة 218) والوسيلة الوحيدة لإنشاء الدولة هي "تكمن في جمع كل قوتهم وقدرتهم بإتجاه شخص أو مجموعة أشخاص تستطيع بفعالية الأصوات حصر كافة إراداتهم في إرادة واحدة" (هوبز، 2011، صفحة 179) بمعنى أن الحاكم ليس طرفا في العقد، والقوانين التي ينص عليها العقد لا تنطبق عليه بل على الرعية فقط. بحيث يتخلى الأفراد عن إرادتهم للحاكم فتصبح حريتهم مقيدة وذلك عن طريق القوانين التي يلتزم الجميع بتنفيذها بينما تصبح حريته هو حرية مطلقة. "أما الطرف المودع لديه هدا الشخص فيدعى بالحاكم و يقال أنه يتمتع بالسلطة المطلقة وكل ما يخرج عن نطاقه هو فرد من الأفراد التابعين له" (هوبز، 2011، صفحة 180) وحسب هوبز، يوجد وسيلتان لبلوغ هده السلطة: الأولى هي إستخدام القوة الطبيعية، وذلك عن طريق فرض القوة والعنف على الرعية،

وبالتالي يخضعون له مجبرين، إما خوفا من العقاب أو خوفا من الموت أو رغبة في الحفاظ علي الحياة وهذه الوسيلة تؤسس لدولة الاكتساب. "أما الوسيلة الأولى فهي دولة بموجب واقعة الاكتساب" (هوبز، 2011، صفحة 181) أما الوسيلة الثانية فتتمثل في العقد الاجتماعي، بحيث تقوم على الاتفاق الطوعي ومنح السلطة المطلقة للحاكم وتسمي الدولة هنا بالدولة السياسية.

المبحث الثاني: الحرية عند جان جاك روسو

أولا: روسو: كيف شكلت أحداث فرنسا رؤيته السياسية؟

لدراسة موضوع الحرية في فلسفة روسو، لابد أولا من التطرق إلى الأوضاع المزرية التي عاشها في فرنسا وتأثر بها، بحيث شكلت دافعا قويا له للدعوة إلى الحرية والعدالة الإجتماعية.

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

إن المجتمع الفرنسي قبل قيام الثورة الفرنسية كان مجتمعا إقطاعيا يتكون من ثلاثة طبقات أساسية وهي طبقة النبلاء، طبقة رجال الدين، وطبقة العامة "كانت الحقوق التقليدية في مجتمع النظام القديم الأرستقراطي تميز ثلاثة منظمات أو طبقات: الإكريلوس والنبلاء وهما الطبقتان المحظوظتان والطبقة الثالثة التي تشمل أكثرية الأمة الساحقة" (سوبول، 1989، صفحة 18).

كان عدد النبلاء في فرنسا يقدر ب: "إن عدد النبلاء الحقيقي يمكن أن يقدر بحوالي 350.000 شخص أي 1,5 من سكان البلاد" (سوبول، 1989، صفحة 20) تمثل هذه الفئة الطبقة الثانية في المجتمع تنقسم بدورها إلى فئتين: نبلاء البلاط وهم الأشخاص المحيطين بالملك وحاشيته وهؤلاء يتمتعون بحياة يملأها البذخ والترف، أما الفئة الثانية فهم نبلاء الأقاليم يعيشون في مختلف بقاع فرنسا وامتيازاتهم أقل شرفا من النوع الأول ويتمتع أصحاب هذه الطبقة ككل بامتيازات شرفية كالإعفاء من الضرائب وتقلدهم للمناصب والوظائف العليا في جميع القطاعات سواء الاقتصادية أو السياسية.

أما الطبقة الثانية فهم رجال الدين أو الإكليروس "كان الإكليروس وعدده حوالي 130.000 شخص يعلن عن نفسه أنه الهيئة الأولى في المملكة" (سوبول، 1989، صفحة 24)

كانت هذه الطبقة تلقب نفسها بأنها أهم طبقة في البلاد ينتشرون في مختلف اقاليم الوطن، ويشغلون أيضا مناصب عليا في البلاد وكانت سلطتهم ممتدة من ملكيتهم للأراضي و العقارات و مختلف البنايات.

أما الطبقة الثالثة فتمثل عامة الشعب "كانت تمثل اكثرية الأمة الساحقة: أي أكثر من 24 مليون من السكان في نهاية النظام القديم" (سوبول، 1989) تتشكل هذه الطبقة من الفئات الشعبية المختلفة بالإضافة إلى **البرجوازيين***، وهم يشكلون كل من الفلاحين، التجار، الحرفيين، الأطباء، القضاة...وقد عانت هذه الطبقة من الظلم والاضطهاد من طرف الطبقات العليا خاصة الفلاحون "في ظل النظام الإقطاعي كان استغلال الفلاحين هو المصدر الأساسي الذي يغذي طبقة ملاك الأراضي المسيطرة والدولة الاستبدادية فمن تعب الفلاح وكدحه تعيش طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين" (فولغين، 2006، صفحة 14) في ظل هذا الظلم انتشر الفقر، المرض، البطالة، الجهل...و بالتالي أصبح أهم مطلب تنادي به هذه الفئة هو مساواتها مع الطبقات الأخرى حتى تتصلح أوضاع المجتمع وتقام المساواة و العدالة بين الجميع.

وعليه نجد أن النظام الإقطاعي قد خلق التفاوت واللامساواة بين أفراد المجتمع، وكان أكبر متضرر هم عامة الشعب بخلاف الطبقات الأخرى.

الأوضاع السياسية:

كانت فرنسا قائمة على حكم ملكي إستبدادي، فكان ينظر للملك على أنه صورة الله في الأرض، وبالتالي يتمتع بقوة وسلطة مطلقة وما على الشعب إلا إطاعة هذه السلطة دون اعتراض ولا امتناع "وما الملك إلا صورة الله الحية ووكيله على هذه الأرض" (فولغين، 2006، صفحة 17)، يتم منح الملك هذه الصفة الإلهية داخل الكنيسة عن طريق القيام ببعض

الشعائر "حيث يلفظ رئيس الأساقفة هذه الصيغة كن مباركا وقم ملكا على المملكة لأن الله أعطاك أن تقودها" (سوبول، 1989، صفحة 64) بعد ذلك يخرج للشعب وكأنه وكيل الله ومأمور من طرفه بحكم تلك البلاد، وما حكمه إلا تجسيد للشرائع الإلهية، وعليه أن يهتم بشؤون تلك البلاد صغيرها وكبيرها فيفوض جزء من سلطته إلى معاونيه لأجل إصلاح ومراقبة أجهزة الدولة والتفاعل مع متطلبات الرعية علما أن ذلك التفويض لا ينقص من قوة الملك أو سلطته بل يعتبر إستراتيجية سياسية للحكم فلا توجد صلاحية أو قوة أو أي سلطة يمكنها أن تحل أو تعلى على سلطة الملك. إذن هذه السياسة أدت إلى دعم إستمرارية النظام الإقطاعي والتوزيع الطبقي بين فئات المجتمع فكانت النصرة دائما للحكام ورجال الدين.

إستمر الحكم المطلق لسنوات طويلة مما أدى إلى تصاعد معاناة الشعب، وزيادة الأزمات والصراعات والانقسامات داخل المجتمع. وهنا برزت قوة جديدة شكلت أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى انهيار الحكم الملكي، هذه الأخيرة سميت بحركة الإصلاح الفكري التي قادها فلاسفة ومفكروا التنوير. فساهموا في تغيير العقول وإصلاح الرأي العام عن طريق كتاباتهم وشعاراتهم التي دعت إلى نبذ الظلم والاستبداد ورفعت شعار الديمقراطية بغية تحقيق العدل، الحرية والمساواة في المجتمع "ولقد رأيت مثالا من كلام هؤلاء الكتاب فيما أوردته لك عن روسو ونظرياته ولا يفوتني هنا أن أذكر لك أسماء فولتير، ومنتسكيو، وديدرو، ودالبير" (جلال، 1927، صفحة 53) فهؤلاء المفكرين ساهموا بأفكارهم في قيام الثورة الفرنسية التي كانت وسيلة لإسقاط الملكية وغيرها من الأنظمة الفاسدة، وبالتالي تغيرت أوضاع فرنسا للأحسن.

تأثر جان جاك روسو بأوضاع فرنسا:

أدت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المزرية التي عايشتها فرنسا إلى التأثير في فكر جان جاك روسو، فتجسدت أفكاره في مؤلفاته، داعيا إلى نبذ النظام الإقطاعي وتغيير نظام الحكم الملكي "إن الملكية الخاصة والترف والإمعان في الشهوات هي سبب كل التعاسات المكدسة التي تقع على رؤوس ملايين الفقراء والتي يحتملها الشعب لما طال إيهامه أنها أصلح الأنظمة للوجود الاجتماعي" (هيكل، صفحة 10)، ففي مؤلفه العقد الإجتماعي، جسد روسو طموحه لتأسيس مجتمع تسوده الحرية والإرادة العامة، على أن تكون السلطة نابعة من الشعب وليس من السلطة الإلهية كما كان شائعا في فرنسا سابقا، أما في كتابه خطاب في أصل التفاوت بين الناس بحث روسو في كيفية نشوء اللامساواة بين البشر، متتبعا التطور التاريخي لنشأة المجتمع وتشكل العلاقات بين الأفراد مستنتجا أن الملكية كانت سببا في حدوث الانقسام والتفاوت وما صاحبه من ظلم واستغلال. وبالتالي كان الظلم الإجتماعي والأزمات الإقتصادية والإستبداد السياسي ملهما لروسو في التفكير لتحسين أوضاع فرنسا، فوجد أنّ الحل يكمن في فكرة العقد الإجتماعي كبديل للحكم المطلق ووسيلة لإحقاق العدل والمساواة وضمان حرية الأفراد والشعوب.

إن الأفكار التي نادى بها روسو، إلى جانب ثلة كبيرة من المفكرين لم تكن مجرد شعارات ترفع أو مجرد أحلام يتمنى تحقيقها، بل ساهمت بحق في التمهيد لقيام الثورة الفرنسية التي وإن لم يشهد أحداثها بنفسه إلا أنه "على أن فكرته في الإصلاح لم تكن فكرة تدريجية تبدأ عند الأنظمة الحاضرة وتسعى لتحويرها رويدا رويدا في إتجاه معين، ولكنها كانت فكرة متطرفة ثورية ترمي إلى هدم نظام وإقامة نظام جديد على أنقاضه" (هيكل، صفحة 10).

يتحدث روسو عن السياسة في بداية كتابه العقد الإجتماعي فيقول "إذا سئلت عن كوني أميرا أو مشرعا حتى أكتب في السياسة ويكون جوابي: كلا، ولذا أكتب عن السياسة، ولو كنت أميرا أو مشرعا ما أضعت وقتي في قول ما يجب أن يصنع، وأصنع ذلك أو أسكت" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 21) بمعنى يعتقد روسو أنه حتى يكتب أحدهم في السياسة لا يتطلب أن يكون الكاتب رجل سياسي بل يكفي أن يكون مواطنا ولذلك يعتبر الكتابة في السياسة واجبا شخصيا أخلاقيا ومسؤولية فردية قبل أن تكون جماعية.

ثانيا: الإنتقال من الحرية الطبيعية للحرية المدنية.

تطرق روسو في بحثه إلى مراحل تطور المجتمع من الحالة الطبيعية إلى غاية تأسيس الدولة ففي الحالة الأولى كان الإنسان حرا يعيش حياة بسيطة و كانت الطبيعة تمده بكل احتياجاته ثم إنتقل بعد ذلك إلى الحالة المدنية التي أفضت إلى ظهور التفاوت بين الناس وفقدان الحرية إلى غاية قيام العقد الإجتماعي كحل عقلاني كي يستطيع الإنسان إستعادة حريته التي فقدها سابقا ولكن تحت مسمى جديد وهي الحرية المدنية وذلك بغية تأسيس الدولة الحقة. السؤال المطروح هو كيف تصور روسو مراحل تطور المجتمع وما مكانة الحرية في هذا المسار؟

الحالة الطبيعية:

إن الحالة الطبيعية لدى روسو نفسها لدى هوبز مجرد إفتراض تم وضعه لمعرفة كيف كان البشر في حالتهم الأولى قبل إنتقالهم إلى الحالة المدنية الاجتماعية. "ومثل معظم أصحاب النظريات السياسية في عصره تحدث عن حالة الطبيعة وإن كان حديثه افتراضيا إلى حد ما" (راسل، 1977، صفحة 292).

إن الإنسان في حالة الطبيعية حسب روسو كان يعيش حياة هانئة تنتشر فيها قيم الفضيلة والحرية والمساواة بين الجميع "وكانت الحياة تسودها الفضيلة لأنها حياة طبيعية تقوم على أساس الحرية و المساواة" (مهنا، 1999، صفحة 221).

كما كانت حياته بسيطة تقتصر على تلبية حاجياته الضرورية مثله مثل الحيوان والطبيعة هي التي كانت توفر له كل متطلباته "فأراه يشبع تحت بلوطة ويرتوي من أول جدول ويجد فراشة تحت ذات الشجرة التي أمدته بطعامه وهكذا تكون حاجاته قد قضيت" (روسو، أصل التفاوت بين الناس، 2012، صفحة 34) إذا الإنسان عند روسو خير الطبيعة البشرية عكس هوبز الذي صوره شريرا أنانيا. إذ نجده دائما هائما في الغاب لا لغة له ولا صناعة ولا مسكن ولا علاقات تجمعه مع الآخرين، حتى وإن وجدت فقد كان رؤوفا معهم لا رغبة له بإلحاق الضرر بهم. وقد كان همه الوحيد هو الحفاظ على بقاءه وتوفير حاجته من مأكل ومشرب وأنثى.

كما أنه لم يكن يصاب إلا بالقليل من الأمراض وبالتالي نادرا ما يحتاج إلى علاج ذلك لأنه قد تعود مند أن كان طفلا على تقلبات الفصول، وقد إكتسب جسما قويا لحاجته الدائمة للدفاع عن نفسه أمام الحيوانات المفترسة المحيطة به ولم يكن يهاب شيئا إلا "المرض والموت والجوع" (برقاوي و رياض ، العقد الاجتماعي عند جان جاك روسو، 2022، صفحة 07). كما أن الإنسان يختلف عن الحيوان بميزتين أساسيتين "إن له إرادة حرة بدلا من أن يكون أسيرا لغرائزه، وأن هذه الإرادة هي التي تميزه من الحيوانات أكثر ما يميزه منها الفهم" (كريسون، 1988، صفحة 82) إذا الإرادة والحرية صفتان لا تنفصلان عن الإنسان تميزه عن الكائنات الأخرى.

وفي حديثه عن الحرية افتتح روسو كتابه **العقد الاجتماعي** *بقوله "يولد الإنسان حراً، ويوجد الإنسان مقيدا في كل مكان، وهو يظن نفسه سيد الآخرين وهو يظل عبداً أكثر

منهم" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 23) معلنا بذلك عن الحرية كأساس لفلسفته الاجتماعية والسياسية ومؤكدا أن الحرية صفة جوهرية في الإنسان وبالتالي لا يجوز لأحد أيا كان أن يستعبد أحدا مادام الجميع قد ولدوا أحرارا بالفطرة.

ترتبط الحرية لدى روسو في هذه المرحلة الأولى بالأسرة حيث يرى أن الأسرة هي أقدم تجمع بشري "مجتمع الأسرة هو أقدم التجمعات وهو المجتمع الطبيعي الوحيد" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012) لكن هذه الأسرة ليست تجمعا دائما إذ ما تلبث أن تتفكك وتنتهي علاقات أفرادها بانتهاء حاجتهم إلى بعضهم البعض إذن علاقة الأبناء بالآباء هي علاقة منفعة تقوم على الطاعة وتضمن لهم الحماية وحفظ البقاء. أما وإن صاروا بالغين قادرين على رعاية أنفسهم والتكفل بها يصبح كل فرد سيد نفسه فيتحرر الأبناء من طاعة آبائهم، ويتحرر الآباء من واجبهم بالإعتناء ورعاية أبنائهم ويصبح كل فرد حرا مستقلا. إذن الإنسان حر حرية طبيعية في الحالة الطبيعية تتحول حريته إلى حرية مدنية في المجتمع المدني.

الحالة المدنية:

يرى روسو في البداية كما سبق الذكر أن البشر في حالتهم الطبيعية كانوا يتمتعون بحياة تسودها الحرية والمساواة والعدالة، إلا أن التقدم الحاصل في المدينة وانتقال الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية الاجتماعية وظهور الملكية الفردية قد كان سببا رئيسيا في ظهور عوامل الصراع والتفاوت بين أفراد الجنس البشري وهذا ما عالجه روسو في مؤلفه خطاب في أصل التفاوت بين الناس.

يرى روسو أن التفاوت يكاد ينعدم في الحالة الطبيعية لأن كل شيء كان متاحا للجميع رغم وجود بعض الفروقات الفيسيولوجية وهذا ما سماه روسو بالتفاوت الطبيعي

وهو إختلاف في القدرات الجسدية والذهنية التي تمكن أحدا من أن يأخذ مكان أحد أو يستولي على فريسة غيره لكن في رأيه لا يوجد ما يمنع هذا الإنسان من الانتقال إلى مكان آخر أو البحث عن مصدر غداء آخر مادام كل شيء متاح للجميع، ولا وجود للملكية الخاصة أو قوانين ولا سلطة، ومادام ذلك لا يؤدي إلى ظلم أو استغلال لأحد، من هنا يتساءل روسو عن أصل التفاوت بين الناس وأسباب نشوءه؟ قائلا: "بعد أن أثبت أن التفاوت لا يكاد يشعر به في حال الطبيعة وأن نفوذه فيها يكاد يكون صفرا تقريبا علي أن أبين أصله وتقدمه في نشوء الروح البشرية نشوءا متعاقبا" (روسو، أصل التفاوت بين الناس، 2012، صفحة 55).

يرى روسو أن التفاوت الحقيقي ارتبط بالحياة المدنية وهذه الأخيرة ارتبطت بظهور الملكية عندما استولى أول فرد على قطعة أرض وقال "هذا لي" أو "هذا ملكي" يقول روسو: "كان مؤسس المجتمع المدني الحقيقي هو الإنسان الأول الذي سور أرضا فرأى أن يقول هي لي وقد وجد من البسطاء من يصدقونه فكان مؤسس المتجمع المدني الحقيقي"(روسو، أصل التفاوت بين الناس، 2012، صفحة 57) هنا ظهر التفاوت وهو ما يسميه روسو بالتفاوت السياسي أو التفاوت الأخلاقي وكان سببا في خلق الطبقات والإنقسام داخل المجتمع "الإنسان طيب بفطرته وإنما أفسده الإجتماع الذي غشى على تلك الفطرة بما أوغل فيه من صور الحضارة" (هيكل، صفحة 169) ومن هنا ظهرت القوانين والمؤسسات وتلاشت الحرية، والمساواة فالملكية الفردية خلقت طبقت الأغنياء والفقراء فأصبحت هناك طبقة تملك "طبقة ارستقراطية" وطبقة لا تملك "طبقة كادحة" ويذكر روسو هنا مثالا عن الزراعة إذ يراها إحدى نتائج ظهور الملكية "لو فرضنا أن الأرض كانت مقسمة بالتساوي، فإن الناس إذ يتكاثرون سرعان ما يوجد منهم من لا يملك أرضا فيضطرون لكي يكسبوا قوتهم إلى العمل لدى من يملكون أرضا" (المستكاوي، 1989، صفحة 162) وهنا تختفي المساواة

مما يؤدي إلى خلق طبقة الحكام المتمثلة في الحاكم وأتباعه وطبقة المحكومين وهم الرعية، وبذلك يصبح لدينا وجود أسياد وعبيد فيبلغ الظلم والتفاوت ذروته تنشأ الحرب حينها تصل اللامساواة إلى أقصى حد لها "لقد فتح المجتمع الناشئ مجالا لأفظع حالة حرب" (المستكاوي، 1989، صفحة 163) ولا يقصد بالحرب هنا المواجهة المباشرة بل حالة الصراع القائمة على الاستغلال، السرقة، الإستبداد... إلى غير ذلك من المفاسد الأخلاقية مما يفقد الإنسان أحد أهم حقوقه الطبيعية وهي الحرية.

غير أنّ ما يجب التأكيد عليه في النهاية أن تأسيس المجتمع المدني وظهور الملكية لم يحدثا فجأة دفعة واحدة لدى الإنسان بل كانا نتيجة مسارات وأحداث تاريخية متراكمة جعلت من هذه النقلة ضرورة حتمية "إن ميلاد الملكية ومن ثم التأسيس لبداية المجتمع المدني كما صرح روسو لا يعد اختيارا بقدر ما هو ضرورة أو قدراً إن صحت العبارة" (محمد، 2019، صفحة 250) وهنا يتساءل روسو عن سبب خروج الإنسان من حالته الأولى فيقول: "كيف خرج الإنسان من الحالة الأولى؟ خرج منها إتفاقا بأن عرضت له أولا أسباب طبيعية، كالجدب والبرد القارس والقيظ المحرق" (كرم، 2012، صفحة 213) إن الكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل وبراكين هي التي الفت بين البشر ودفعتهم للتجمع بتكوين علاقات وأُسر ومؤسسات لكنه سرعان ما تراجع عن فكرته "كان روسو مقتنعا بأن مثل هذا التحول في حياة الهمج من الصعب أن يفضي إلى تطور اللامساواة الاجتماعية نفسها" (ووكلر، 2015، صفحة 65) وبالتالي غير رأيه إذ رأى أن التغيير حدث من صنع الأفراد أنفسهم فمع عيشهم المشترك صاروا يلاحظون الصفات التي تميز كل فرد عن الأخر فتشكلت المقارنات التي أدت إلى بروز الفروقات فيما بينهم سواء فروقات اجتماعية اقتصادية نفسية... إلى غير ذلك "وبذلك بدا التوزيع غير العادل للتقدير العام في التفريق بينهم في طبقات اجتماعية" (ووكلر، 2015، صفحة 65).

العقد الاجتماعي:

إن الحالة المدنية عرفت نوعا من الصراع والتصادم بين أفراد المجتمع وذلك بسبب ظهور الملكية والزراعة والصناعة، لقد رأى روسو في بداية الأمر أن الحل لإصلاح هذه الحال هو الرجوع إلى الحالة الطبيعية لكنه سرعان ما تراجع عن رأيه حينما أدرك أن هذه المرحلة إنقضت ولن تعود فرأى أن يقوم الأفراد بتوحيد قواهم عن طريق إبرام عقد فيما بينهم وهنا يتساءل روسو "بما أن قوة كل إنسان وحريته كانتا أولى الوسائل لسلامته، فكيف يرهنهما من غير أن يضر نفسه" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 37) بمعنى إذا أدرج الإنسان قوته مع قوة الجميع تحت إطار تكتل واحد ما الذي يضمن لهذا الإنسان حفظ سلامته وحريته؟ يجيب روسو في نفس الفقرة أنه إذا ردت هذه المسألة إليه فلا بد من "إيجاد شكل لشركة تجبر، وتحمي بجميع القوة المشتركة شخص كل مشترك وأمواله، وإطاعة كل واحد نفسه فقط، وبقاؤه حرا كما في الماضي مع إتحاده بالمجموع، فهذه هي المعضلة الأساسية التي تحل بالعقد الاجتماعي" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 37).

بمعنى أن العقد الإجتماعي هو خطة روسو لأجل تهذيب الإنسان من الحال التي أصبح عليها في الطور الحضاري من خلال إصلاح حياته الاجتماعية والسياسية وكان الهدف من وراء هذا العقد هو "إيجاد ضرب من الإتحاد يحمي بقوة المجتمع شخص كل عضو وحقوقه، ويسمح لكل وهو متحد مع الكل بألا يخضع إلا لنفسه وأن تبقى له الحرية التي كان يتمتع بها من قبل" (كرم، 2012، صفحة 214) وبالتالي فقد أصبح الإجتماع البشري ضرورة ملحة لكن ليس بالشكل الذي كان عليه في الحالة المدنية بل بطريقة أكثر تحضرا غايتها القصوى هي بناء الدولة الحديثة.

تصور روسو أن هذا العقد يجمع طرفان، الطرف الأول هم مجموع الأفراد المتعاقدون فيما بينهم كقوة واحدة مشتركة أما الطرف الثاني فيشمل كل فرد لوحدها بحيث يصبح كل

فرد متحد مع الكل ولا يتحد مع أي فرد بشكل خاص إذن كل متعاقد يحمل صفتان: صفة الفرد الواحد الحر المستقل وصفة العضو المتحد مع الجماعة. والشرط الأساسي لهذا العقد هو أن يقوم الأفراد بالتنازل عن حقوقهم وحريتهم الطبيعية للمجموع مقابل المساواة مع كل أفراد المجتمع ومقابل حصولهم على حريتهم المدنية، وعلى العكس من هوبز الذي أقام العقد على حساب طرف واحد وهو الحاكم فالحاكم عند روسو ليس طرفا في العقد وإنما يعد مجرد وكيل يعبر عن إرادة الشعب العامة تمثل هذه الإرادة العامة إرادة المتعاقدين ككل "إرادة كل المنخرطين في العقد والمكونين للمجتمع المدني أي إرادة كل الشعب وهذه الإرادة لا تمدها أو تقيدها أية حدود أو قيود" (مسعود ع.، 2020، صفحة 21).

كما يشير روسو إلى أن الأسرة تعتبر الأساس الطبيعي الأصيل لتكون المجتمع السياسي بحيث يتجسد الأب في صورة الحاكم والأبناء في صورة الشعب أو الرعية "ويمكن أن تعد الأسرة إذن أول نموذج للمجتمعات السياسية؛ حيث يكون الرئيس صورة الأب، والشعب صورة الأولاد" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 25).

بعد ذلك ينتقل روسو إلى المرحلة الثانية من العقد أي ما يجب عليه أن يكون إذا تم تطبيقه على أرض الواقع بحيث يستحيل بقائه مجرد أفكار نظرية تجمع بين أفراد متعاقدين وتتمثل هذه المرحلة في الهيئة السياسية الناتجة عن العقد "والآن يؤدي عقد الشركة هذا إلى هيئة معنوية أَلبية مؤلفة من أعضاء بمقدار أصوات المجلس...وكان يطلق اسم المدينة على هذا الشخص العام الذي يؤلف، على هذا الوجه، من إتحاد جميع الآخرين، فيسمى اليوم جمهورية أو هيئة سياسية، وهي ما يسميه أعضاؤها دولة إذا كانت منفعلة وسيداً إذا كانت فاعلة، وسلطانا إذا قيست بأمثالها. وأما المشتركون فإن إسم الشعب هو الذي يحملونه ألبياً، ويسمون مواطنين على وجه الخصوص كمشتركين في السلطة ذات السيادة" (روسو، العقد الاجتماعي، 2012، صفحة 39) بمعنى أن يقوم المتعاقدون

بتأسيس هيئة معنوية تقوم على مؤسسات شرعية تبنى عليها الدولة، والقوانين التي تقرها الدولة تعبر عن الإرادة العامة وغايتها تحقيق المصلحة والمنفعة العامة، فعندما يطيع المواطن القانون ليس معناه أنه يطيع أحدا بعينه بل يطيع الإرادة العامة ذلك أن إرادته الخاصة من بين الإرادات داخل الإرادة الكلية.

وإن الإرادة العامة هي الأساس والمحرك للدولة فلا قانون يعلوا فوقها ولا سيادة فوق سيادتها فصاحب السيادة هنا هو المجتمع وليس الحاكم حيث يقر روسو أن تشكيل حكومة واختيار رجل يمثل الشعب ويراقب مسارات تلك الحكومة أمر ضروري، لكن في نفس الوقت يعد الحاكم مجرد شخص يتم اختياره لتمثيل وخدمة المجتمع وأن أي قانون أو أمر يصدره الحاكم أو الهيئة السياسية يمكنه أن ينتهك حرية الأفراد ويعرقل حياتهم ويتسبب في حرمانهم من حقوقهم من نتائجه عزل ذلك الشخص أو مجموع الأشخاص من منصبهم، ذلك لأن حرية الفرد هي حقه الأسمى فلا يجوز لأي كان أن يحرمه منه مادام الإنسان حسب روسو مفطور على الحرية، وما القانون والسلطة والإرادة العامة إلا وسائل وآليات أقرها العقد من أجل الحفاظ على حياة الإنسان وحماية ممتلكاته وتمكينه من التمتع بكامل حقوقه المدنية و أهمها الحرية .

الفصل الثالث: هوبز وروسو: دراسة مقارنة في الأسس والأبعاد.

المبحث الأول: أوجه التشابه والإختلاف.

أولا: أوجه التشابه

ثانيا: أوجه الإختلاف

المبحث الثاني: أبعاد فلسفة العقد الإجتماعي والنقد الموجه إليها

أولا: أبعاد فلسفة العقد الإجتماعي

ثانيا: النقد والتقييم

توطئة:

قدم كل من توماس هوبز وجان جاك روسو نظرية العقد الإجتماعي كمنهج أساسي لفهم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإطار لتفسير نشأة الدولة وتبرير السلطة السياسية من منطلق عقلاني، وقد تميز النموذجين بطرح تصورات مختلفة حول هذا العقد تعكس خلفياتهما الفلسفية ، فعلى الرغم من إنتمائهما إلى نفس النظرية الفلسفية إلا أن لكل منهما نظرة خاصة لهذا العقد، أساسياته، شروطه، ومكانة الحرية بداخله. بحيث يهدف هذا الفصل إلى إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين هوبز وروسو إنطلاقا من الأفكار التي تم تحليلها في الفصل السابق مع تقديم للأبعاد التي توصلت إليها النظرية في الفكر السياسي الحديث والمعاصر.

المبحث الأول: أوجه التشابه والإختلاف بين توماس هوبز وجان جاك روسو

أولا: أوجه التشابه:

نظرية العقد الإجتماعي عند كل من هوبز وروسو تعد وسيلة لضمان حقوق الإنسان الأساسية، مثل الحق في الحياة، الحرية والملكية. فالهدف الرئيسي لهذا العقد هو حماية هذه الحقوق، حيث يتفق الأفراد بإرادة حرة على الدخول في اتفاقية مشتركة يتنازلون بموجبها عن بعض الحقوق الطبيعية مقابل الحصول على حقوق مدنية وأمن واستقرار وتأسيس فعلي للدولة. وبالرغم من الاختلافات الجوهرية بينهما في طبيعة هذا العقد، شروطه، و أهدافه. إلا أن كلاهما يتشاركان في افتراضه كأساس لبناء الدولة. كما اتفق كلاهما في افتراض وجود حالة طبيعية ووضع أولي سابق لنشوء المجتمع السياسي الذي يتوقع أنه الأصل المنطقي لتواجده والمبرر الأساسي لحاجة الناس إلى التعاقد، هذه المرحلة التي عاش فيها الأفراد أحرار دون تقييد بأي سلطة سياسية أو قانونية، دفعتهم

للانتقال إلى حالة أخرى مدنية عبر عقد ضمني ينقلهم من حالة الفوضى إلى حالة النظام، هذا العقد يعتبر نقلة محورية في حياة الأفراد إلى حياة الجماعة ويشكل لحظة تأسيسية للسلطة والدولة بشكل عام.

كما يؤمن كلاهما أن السلطة السياسية لا تستمد مشروعيتها من السلطة الدينية القائمة على التفويض الإلهي ولا من السلطة الوراثية التي ينتقل فيها الحكم من سلالة إلى أخرى دون أي اعتبار لإرادة الشعب كما كان شائعا في القرون الوسطى، و إنما تنشأ السلطة بإرادة حرة ورضا تام من المحكومين المتعاقدين حتى وإن كانت الموافقة عند هوبز شبه طوعية إلا أن العقد لا يقوم إلا بها سواء كانت بين الأفراد والحاكم من جهة كما نادى هوبز أو بين الأفراد بعضهم البعض كما يرى روسو. "يوجد طريقة تتيح لكل إنسان أن يشعر بأنه حر في مجتمعه، وبأن حقوقه محترمة، وذلك ببناء هذا المجتمع على عقد أو ميثاق اجتماعي، أي على التزام شرعي يتضمن تنازل الفرد عن شخصيته وعن جميع حقوقه لمجتمعه. يجب على كل من يريد أن يرضى بوضع شخصه وكل سلطته تحت تصرف وإدارة الإرادة العامة، فإن لم يفعل وهو حرٌ في ألا يفعل، توجب عليه أن يبحث عن جو آخر يلائم رغباته" (كريسون، 1988، صفحة 84).

ثانيا: أوجه الإختلاف :

1. حالة الطبيعة:

إنّ مفهوم العقد الإجتماعي عند توماس هوبز يعني أن الناس كانوا يعيشون في الماضي حالة صراع أي "حرب الكل ضد الكل" بحيث يسود العنف والخوف والظلم بسبب غياب الحكومة والقوانين التي تنظمهم ولكي تتحسن أوضاعهم كان عليهم أن يدخلوا طوعا وجبرا في إتفاق فيما بينهم، لكن بالنسبة لروسو فعلى العكس من ذلك فلم تكن حالة

الطبيعة بتلك الفوضى وإنما كانت مرحلة هانئة وبسيطة وسبب الصراع بينهم هو دخولهم معترك التاريخ بسبب ظهور الملكية الخاصة فبالتالي كان لابد لهم من التعاقد فيما بينهم لحماية أنفسهم.

2. طبيعة الحكومة:

يزعم هوبز أنه بدون الخضوع لسلطة حاكمة فلا يمكن للعقد أن يتم لأن الناس سيكونون بالضرورة في حالة حرب وبالتالي الضمان الوحيد لتحقيق النظام هو تحويل كل صلاحيات الشعب إلى سلطة مطلقة حتى لو كانت مستبدة إذ يبيح هوبز للحاكم الحفاظ على حكمه وحكومته بأي وسيلة حتى ولو كانت غير شرعية أو غير أخلاقية (مثل العنف و القوة) فلا مكان للقيم الأخلاقية في ما يخص الشأن السياسي، إذن هوبز هنا يدعم نظام الحكم المطلق الذي يقتضي تنازل الأفراد تنازلا كليا عن حريتهم لصالح صاحب السلطة يشكل الدولة "هذا وإن المجموعة المجتمعة على هذا النحو في شخص واحد تدعى الدولة، باللغة اللاتينية "سيفيتاس" هذا هو جيل الليفياثان الكبير أو بالأحرى (ومن باب الحديث بمزيد من الوقار) هذا الإله الفاني" (هوبز، 2011، صفحة 180) إذن فالحاكم يتمتع بسلطة مطلقة مما يؤدي إلى الاستبداد فما الذي يمنع الحاكم من تحقيق مصلحته ومنافعه الشخصية بدلا من مصلحة الشعب العامة، وبالتالي تضيع حقوق الأفراد وتنتهك حرياتهم فتعود من جديد حالة الصراع والفوضى التي عمت الحالة الطبيعية سابقا. أما روسو فيرى أن الحكومة أو الدولة ليست سوى وكيل أو مفوض توجد فقط للتعبير عن إرادة الشعب ومن واجبها ضمان حقوق الأفراد وحرياتهم وإذا حدث عكس ذلك فيحق للشعب التمرد على الحاكم و لثورة عليه عزله من منصبه "يجب أن تلعب السلطة السياسية دور الوسيط بين المجتمع والدولة للحفاظ على روح الديمقراطية التي ينبغي أن تكون والتي لا يجب أن تكون إلا وفق الإرادة العامة للشعب" (شعيب، 2024، صفحة 03) إذن روسو يدعوا إلى إقامة

نظام الحكم الديمقراطي حيث يكون الشعب هو مصدر السيادة عن طريق مشاركته في التمثيل السياسي والمجالس التشريعية والنيابية الذي يسعى للتعبير عن الإرادة العامة للشعب "فالدولة هي جهاز مصلحاتي عملياتي تؤثر على العلاقات الممتدة بين الأفراد والجماعات وكل ذلك يأتي من ضرورة وجود تمثيل سياسي أو تمثيل اشتراكي سياسي يعمل فيه الشركاء السياسيون على تفويض السلطة لأطراف العقد حتى يتمكنوا من إدارة سلطة الدولة" (شعيب، 2024، صفحة 04).

3. مفهوم الحرية:

يتلخص مفهوم الحرية عند هوبز في طاعة الحاكم والقوانين التي يفرضها مقابل ضمان الأمن والاستقرار وهنا الحرية تكون مقيدة عكس ما كانت عليه في الحالة الطبيعية حرية مطلقة لكنها فوضوية وخطيرة "الإنسان بطبيعته يمتلك حرية، لكن تلك الحرية في ظل غياب القانون ممكن أن يفقد حياتهن لكن بموجب العقد الإجتماعي من الممكن أن يفقد تلك الحرية مقابل الحفاظ على حياته" (الجميلي، 2023، صفحة 32) أما بالنسبة لروسو فيرى أن الحرية تتحقق عند الخضوع للإرادة العامة التي ساهم في صنعها بنفسه، وتتشكل حرية الإنسان الحقيقية ليست في طاعة القانون وإنما بالمشاركة في صنعه وتسمى الحرية هنا بالحرية المدنية.

4. سبب التعاقد:

إن سبب إبرام العقد عند هوبز يختلف كليا عند روسو وذلك نابع من تصورهما المختلف لطبيعة الإنسان فهوبز يرى أن الرغبة في البقاء والخوف من الموت هو الدافع الأساسي للعقد بغية البحث عن وضع أفضل "وإن بذور الحرب التي نادى إليها هوبز في كتابه التنين، بدأت تظهر وتتجلى في الأفق وكان لابد من الخروج من هذه الحالة

الممتلئة بالريبة والخوف" (برقاوي و رياض، العقد الإجتماعي عند جان جاك روسو، 2022، صفحة 15) أما روسو فيرى أن ظهور اللامساواة والتفاوت بين الناس التي تشكلت عقب ظهور الملكية الخاصة هو سبب الدعوة إلى إبرام العقد.

5. الغاية من التعاقد:

إن الغاية التي يبرم العقد من أجلها عند هوبز هو التأسيس لسلطة قوية تفرض النظام وتضمن الطاعة وتحقق الأمن والاستقرار وتتجنب الفوضى والصراع، في المقابل فإن هدف روسو من العقد هو تحقيق المساواة والحرية وتمكين المواطن من ممارسة مواطنته عن طريق المشاركة في صنع القرار السياسي. "إن روسو في كتابه العقد الإجتماعي يرى أن الهدف من هذا المؤلف: ليس هدم المجتمع المتحضر والمجتمع السياسي الفاسد، وإنما إعادة بناء مجتمع سياسي فاضل يقوم على العقد الإجتماعي والحرية والترخيص والرضا، والتأسيس لمؤسسات شرعية تقوم على القانون المنبثق من الإرادة العامة الكلية" (برقاوي و رياض، العقد الإجتماعي عند جان جاك روسو، 2022، صفحة 14).

المبحث الثاني: أبعاد نظرية العقد الإجتماعي والنقد والموجه إليها:

أولا: أبعاد نظرية العقد الإجتماعي:

إيمانويل كانط Emmanuel kant (1724_ 1804):

لقد تأثر الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط*** بهوبز وروسو فيما يتعلق بنظريتهما حول العقد الإجتماعي حيث ألف كانط كتابا بعنوان مشروع السلام الدائم حيث "أعلن فيه أن إنشاء حلف بين الشعوب هو السبيل الوحيد للقضاء على شرور الحرب وويلاتها" (كانط، صفحة 10) فالشرط الأساسي الذي يقوم عليه هذا المشروع هو تحقيق السلام بشكل دائم وليست مجرد هدنة مؤقتة وإنما استبعاد أي محاولة للعودة لفترة الحرب والصراع.

ينطلق كانط من الحالة الفطرية للإنسان فيقول "إذ أن الحالة الفطرية أدنى إلى أن تكون حالة حرب. وهي إن لم تكن حربا معلنة، إلا أنها منطوية على تهديد دائم بالعدوان" (كانط، صفحة 33) صور كانط هنا الحالة الفطرية للإنسان بأنها حالة صراع وعدوان ورغم أنّ هذا التصور أقرب لهوبز منه إلى روسو إلا أنه لا ينفي تأثر كانط بفكرة التعاقد عند روسو. "فإذا كانت الإحالة على فكر روسو فتتجلى مبكرا منذ 1763 في المقال الشهير في الإحساس بالجميل والجليل، ولم يختف إلى حد كتابته حول التربية (1803). فإن الإحالات الصريحة على هوبز تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة" (مصباح، 2011، صفحة 185)، بعد أن تطرق كانط إلى الحالة الأولى انتقل بعدها إلى الحالة المدنية فرأى أنها تقوم على ثلاث مبادئ أساسية وهي كالتالي: "تتأسس الحالة المدنية باعتبارها مجرد حال حقوقية على المبادئ القبلية الثلاثة التالية: حرية كل عضو في المجتمع بصفته إنسانا، تساوي كل إنسان مع كل إنسان اخر بصفته منظورا، استقلالية كل عضو في جماعة بصفته مواطنا" (مصباح، 2011، صفحة 188). إذن الحرية والمساواة والإستقلالية هي حقوق قبلية

أي فطرية موجودة قبل تشكل المجتمع المدني وهذا ما يحيلنا إلى روسو حينما حدد حقوق الإنسان الأساسية وهي الحرية والمساواة

جون رولز John Rawls (1921_ 2002):

يحدد **جون رولز*** مصادر نظريته في العدالة إلى فلاسفة العقد الإجتماعي فيقول: "أما المصادر الفلسفية الخاصة، فنذكر أهمها، نعني: فلسفة جون لوك البريطاني، وجان جاك روسو الفرنسي، وإيمانويل كنت الألماني" (رولز، 2009، صفحة 16) يعتقد رولز أن العقد عند فلاسفة العقد الإجتماعي هو عقد واقعي حتى لو لم يكن التعاقد قد حدث حقا إلا أنه يعبر عن حادثة سياسية تاريخية بينما العقد عند رولز يعد افتراضيا إذ أن الناس اتفقوا فيما بينهم افتراضيا لاختيار مبادئ العدالة وتحديد الحقوق والواجبات التي تنظم المجتمع.

"يطلب منا راولس أن نفهم المجتمع على أنه ميثاق اجتماعي شامل لكل المواطنين، يعتمد على مبدأ الإنصاف والنزاهة. لقد صار بصياغته الجديدة لنظرية العقد الإجتماعي فيلسوف حقوق الإنسان والديمقراطية الاشتراكية فائق التأثير في القرن العشرين" (تسيمر، 2011، صفحة 256) أي أن غاية رولز هي بناء مجتمع جديد يكون أكثر عدلا وإنصافا موافقا لحقوق المواطن الأساسية من خلال تصور لنوع جديد من العقد الإجتماعي.

"تستند العدالة عند راولس إلى تقسيم الممتلكات الأساسية المحددة في مجتمع ما، يضاف إليها بصورة خاصة الحريات والحقوق، كتعبير عن إحترام الإنسان لنفسه، وأيضا السلطة والتأثير والدخل والحصول على المناصب والمكانة فالعدالة بذلك إلى صفة المؤسسات التي تقسم مثل هذه الممتلكات العامة" (تسيمر، 2011، صفحة 263) بهذا المعنى، ترتبط العدالة عند رولز بمفهوم التوزيع والتقسيم للممتلكات والثروات والحقوق والحريات بالتساوي كما تقتضي التكافؤ في الوظائف والمناصب بين الجميع حتى يتم القضاء على

التفاوت الإجتماعي. من هنا نجد أن أفكار رولز هي مواصلة لنظرية العقد الإجتماعي عند كل من لوك، روسو وكانط فيما يخص العدالة وإهتمامه بموضوع الحقوق الطبيعية كالحق في الحياة، الحق في الحرية، الحق في الملكية.

إن أهم مبدأ إستند عليه رولز في نظريته عن العدالة هو مبدأ الحرية الواردة في فلسفة العقد الإجتماعي والتي وجب أن يتمتع بها الجميع وبشكل متساو "إن فكرة الفرد الحر المتجذرة في الثقافة الفلسفية السياسية والأخلاقية الغربية، تناولها رولز كما هي لتصير مبدأه الأول في مفهومه العدالة كإنصاف" (رولز، 2009، صفحة 40) إضافة للحرية إعتمد رولز على عدة مبادئ أخرى من بينها مبادئ العقل التي إستلهمها من القوانين الأخلاقية التي أقرها كانط، أيضا مبدأ الطاعة الذي يقتضي قبول الأطراف التعاقد يلزم معه الطاعة كإلتزام أخلاقي.

إعلان حقوق الإنسان:

ساهمت نظرية العقد الإجتماعي خاصة المتعلقة بأفكار روسو في التمهيد للثورة الفرنسية التي طالبت بإسقاط الحكم المطلق وإقامة النظام الديمقراطي. وكنتيجة للثورة، صدرت وثيقة حقوق الإنسان تضمنت مجموعة من الحقوق التي طالب بها الشعب الفرنسي كرد فعل للسلطة الاستبدادية التي سلبته حريته "كان إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي أصدرته الجمعية التأسيسية في 26 آب/ أغسطس سنة 1789 ثمرة متقدمة قدمتها الثورة الفرنسية لخير الإنسانية وتقدمها" (جميل، 1986، صفحة 18) إذ جاء الإعلان "بسبع عشرة مادة تضمنت مبادئ في الحقوق والحريات مازال الكثير من شعوب العالم الثالث إلى اليوم يطمح إلى ممارستها، بدأ الإعلان بالقول يولد الناس ويعيشون أحرارا متساوين في الحقوق، والفوارق الاجتماعية لا يمكن أن تبنى إلا على أساس المنفعة المشتركة" (جميل،

1986، صفحة 18) هذه العبارة تعكس فلسفة العقد الإجتماعي عند روسو حينما جعل الحرية حق جوهري مقدس في حياة الإنسان وأن أي تفاوت بين أفراد المجتمع لابد أن تكون الغاية منه تحقيق المنفعة العامة، وإلى جانب الحرية تضمن الإعلان مبادئ أخرى تمثلت في "فلسفة الحق، المساواة، القانون، الإرادة الشعبية وغيرها من المفردات التي شكلت عناوين كبرى لإعلان حقوق الإنسان" (محمد، 2019، صفحة 229) ومن هنا مثل الإعلان أول وثيقة رسمية تضمنت مجموع الحقوق الطبيعية في صيغة قانونية وبالتالي أصبحت مبادئها بمثابة الموجه للشعوب في مطالبتهم بحقوقهم.

النقد و التقييم:

تعرضت فلسفة العقد الإجتماعي كغيرها من النظريات الفلسفية إلى مجموعة من الانتقادات ولا بد من الذكر أن النقد الذي سوف نعرضه منه ما هو موجه إلى النظرية بشكل عام ومنه ما هو موجه إلى أفكار هوبز وروسو بشكل خاص.

قبل الولوج في انتقاد هوبز وروسو في أفكارهما لابد من الإقرار أن أول انتقاد يوجه لنظرية العقد الإجتماعي عامة أنها نظرية افتراضية قريبة من الخيال أكثر منها للواقع فالتاريخ كله لم يوجد ولو مثالا واحدا لتجمع بشري قد نشأ بفعل العقد "فلو كان هناك فعلا عقد فعلي كما تنص النظرية بين الأفراد لإقامة المجتمع السياسي المفترض لكان ذلك من الأحداث المهمة والعظيمة في تاريخ الإنسانية، ولتشابهت أنظمة الحكم في دول العالم وهذا في الواقع غير موجود إلى حد ما" (الفتلاوي، 2008، صفحة 17).

ومن بين الفلاسفة الذين انتقدوا نظرية العقد الإجتماعي نجد الفيلسوف هيجل حينما رفض قيام الدولة على أساس العقد الذي يقوم إما بإرادة الأفراد أو إرادة الحاكم فهذه الأخيرة عند هيجل هي إرادة ذاتية عشوائية غير قائمة على مبادئ توجهها. "إن التصريح

بالدخول إلى الدولة أو الخروج منها يجب أن تمنحه الدولة نفسها، وإذن فليست تلك مسألة متوقفة على الإرادة الفردية العشوائية، ومن ثم فلا تقوم الدولة على أساس العقد" (هيغل، 1996، صفحة 354) إذن فالدولة عند هيجل ليست نتيجة لتطور افتراضي تعاقدي إنما تطور عقلي تاريخي يتجاوز الإرادة الفردية، والعقل عنده هو تجل للروح وأسمى تجسيد للروح يتمثل في الدولة.

أما فيما يخص أفكار هوبز فيمكن إنتقاده في إعتقاده بأن الإنسان شرير وأناني الطبيعة البشرية وهنا إختصر هوبز الإنسان في حيز الرغبات والغرائز وجعله مدفوعا لأجل تحقيق مصالحه الخاصة فقط، متجاهلا بذلك أن الإنسان يجمع بين الخير والشر في آن واحد كطبيعة بشرية، غير آخذ في الاعتبار مجموع القيم والأخلاق التي يكتسبها الفرد جراء اجتماعه مع الجنس الآخر كالتعاون، التضامن، المحبة، التعاطف...فبالتالي الإنسان ليس شريرا بطبعه وإنما يمكن للظروف أن تدفعه لذلك مثال ذلك فترة الحرب التي افترضها روسو في الحالة الطبيعية هي التي أجبرت الإنسان للدفاع عن نفسه بكل الوسائل من بينها العنف حتى يضمن حقه الأساسي ألا وهو الحق في الحياة.

إن أهم نقد وجه لفلسفة هوبز السياسية المتعلقة بنظرية العقد الإجتماعي هو إقراره بمبدأ السلطة المطلقة، مانحا الحاكم صلاحيات لا حدود لها وتشريع جميع الوسائل التي من شأنها تمديد سلطة الحاكم حتى ولو كانت غير شرعية باسم الحفاظ على الحكم وتحقيق السلم والأمان، هذا ما يبرر للإستبداد والقمع فينتشر الخوف والظلم والفساد وتضيع ممتلكات الأفراد وحرياتهم فيعود البشر إلى وضع الصراع و الفوضى التي عمت سابقا في الحالة الطبيعية وتصبح الطاعة هي الحل الوحيد أمام الأفراد لضمان بقائهم. "أخطأ هوبز في غمرة حماسه لحماية المواطنين، في إقراره لسلطة الحاكم المطلقة، إعتبار الحاكم ليس طرفا في التعاقد الذي تم بين المواطنين بعضهم البعض" (إمام، 2001،

صفحة 280)، فبما أن الحاكم ليست طرفا في العقد فهو غير مجبر على الالتزام بشروط العقد وبالتالي ليس من حق الأفراد مقاومة الحاكم أو مساءلته أو التمرد عليه لأنهم اتفقوا مسبقا على اختياره وعلى طاعته في كل ما يخص شؤونهم سواء السياسية أو غيرها.

أما فيما يخص روسو فإن الحرية التي نادى بها والتي تبدوا في ظاهرها حرية مدنية تنبع من الإرادة العامة التي صاغها الفرد بنفسه ما تلبث أن تتحول إلى عبودية استسلام لأن الفرد بفعل العقد وافق على التنازل عن حريته وإرادته مقابل تشكيل الحرية العامة والإرادة العامة، لكن هذه الإرادة لا يحدها أي قانون أو أي سلطة لذا تتحول إلى سلطة مطلقة قد تتجسد في الحكومة أو الدولة وهنا ينتج نوع من الإستبداد ويلتزم الفرد بطاعة قوانين لا تنبع بالضرورة من إرادته الشخصية. "إن الحرية المطلقة هي في الأخير عبودية الفرد للدولة أو بالأحرى لسلطة السياسة وينبغي أن نظيف أن هذه العبودية ليست عبودية قسرية، بل عبودية طوعية و استسلام" (مسعود، 2008، صفحة 146).

لكن على الرغم من الانتقادات التي وجهت لنظرية العقد الإجتماعي إلا أن هذا لاينفي إسهاماتها المتعددة في المجال السياسي سواء من طرف هوبز أو روسو خاصة فيما يخص بناء الدولة و تأسيس الحرية، حيث أن أفكار هوبز توضح أن الحرية لا يمكن لها أن تتجسد خارج نطاق السلطة الحاكمة التي تقوم بدورها في تأمين الحقوق والحريات وتحقيق الأمن والاستقرار، "إنما هو يعد أعظم كاتب في مجال الفلسفة السياسية أنجبته الشعوب الناطقة بالانجليزية ، وأن أفكاره الناقدة تنسجم بشكل مذهل مع الواقع وتبدوا أكثر صلة بالقرن العشرين منه بأي وقت أخر منذ أن أنجزه التنين" (الجبار، 2007، صفحة 08) أي أن أفكاره لم تخرج عن نطاق الواقع الذي عاشه وأن دعوته للحكم المطلق لا يعني دعوته لاستبداد الشعب وإنما إيمانه بأن القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق السلم، أما روسو فيجسد الحرية من خلال مشاركة الأفراد في تشكيل الإرادة العامة فيصبح الفرد مواطنا محكوما

ومشرعا في نفس الوقت عن طريق صياغة القوانين وبناء المؤسسات. هذا هو جان جاك روسو كرجل نبيل عاش حياة مفعمة بالصدق والطيبة أكثر من عيشه لنفسه وإهتمامه بذاته وعلى الرغم من معاناته في حياته مع الفقر إلا أنه بقي ثابتا على مبادئه رافعا شعار الحرية، المساواة، العدالة .

خاتمة

خاتمة:

هكذا؛ نصل إلى ختام هذا البحث الذي تناول موضوع الحرية ضمن فلسفة العقد الإجتماعي عند كل من توماس هوبز وجان جاك روسو، وذلك من خلال طرح نظرية كل نموذج في هذا المجال، وتحليل أفكارهما التي كان لها عظيم الأثر في الفلسفة السياسية الحديثة والمعاصرة.

لقد مكننا هذا البحث من تحليل نظرية العقد الإجتماعي كنظرية سياسية ساهمت في بناء شكل جديد للدولة. إذ يتعاقد مجموع الأفراد سواء فيما بينهم أو مع الحاكم، رغبة في تنظيم المجتمع والحفاظ على حقوق الإنسان الأساسية بما في ذلك الحق في الحرية.

إن هذه النظرية بصفة عامة سواء لدى توماس هوبز أو جان جاك روسو تبحث في أصل نشأة المجتمع المدني وتحوله من الحالة الطبيعية إلى الدولة كنتيجة للتعاقد، بحيث تستند هذه الفلسفة إلى المرجعية التاريخية المتمثلة في الأحداث خاصة السياسية منها التي شهدتها كل من إنجلترا وفرنسا والتي ساهمت في تشكل هذه النظرية. فمن خلال المقارنة تبين لنا أن الحرية شكلت محورا أساسيا في فلسفة العقد الإجتماعي، استنادا إلى تحليل آراء كل من المفكرين يتضح أن الحرية عند هوبز في حالتها الطبيعية المطلقة مهددة بالفوضى والصراع، مما يدفع الأفراد إلى التنازل بجزء منها لصالح الحاكم، بهدف تحقيق الأمن والإستقرار، بذلك تصبح الدولة عنده أداة ضرورية لتحقيق الحد الأدنى من الحرية دون إلغائها تماما، وإنما تنظيمها وإبقاء ما يتماشى فقط مع نظام الحكم. أما عند روسو فالحرية تولد مع الإنسان كحالة فطرية قد يفقد جزء منها بالخروج من الحالة الطبيعية بسبب ظهور الملكية، لكن في إطار الدولة يتم إستبدال الحرية الطبيعية بالحرية المدنية التي تعبر عن الإرادة العامة النابعة من إرادة الشعب، مما يحقق الديمقراطية

خاتمة

والتوازن بين أفراد المجتمع. وانطلاقا من هذا التحليل نستخلص مجموعة من النتائج وهي كالتالي:

تحدد طبيعة الدولة كأداة للقمع أم أداة للحماية حسب الأساس الذي قامت عليه، فإذا قامت على السلطة المطلقة كما هي عند هوبز يمكن أن تتحول هنا إلى وسيلة قمع واستبداد للحريات، أما إذا قامت على الإرادة العامة كما هي عند روسو فتصبح وسيلة حماية سواء للحقوق والحريات والممتلكات.

لعب العقد الإجتماعي خاصة عند روسو دورا مهما في إنجاح الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان التي قلبت موازين فرنسا خاصة وأوروبا عامة.

إن العقد بالنسبة لهوبز وروسو هو الحل الضروري لإنشاء المجتمع المدني والمحافظة على حقوق الإنسان فرغم اختلافهما حول الأسس التي يقوم عليها والنتائج المتوصل إليها إلا أنهما يتفقان على أهميته.

هوبز يحاول أن يبين أن الأمن والسلام وحق الإنسان في البقاء أهم من الحرية، لذلك يشرع للسياسة على أساس القوة لردع الأفراد والسيطرة عليهم.

إن روسو يربط بين الحرية والسيادة، حيث تكون السيادة للشعب حيث يظل الفرد حرا لأنه يطيع نفسه من خلال وجوده كجزء من الإرادة العامة ومن خلال مشاركته الفعالة في صياغة القوانين وفي تنظيم الحياة السياسية.

الحقوق الطبيعية تمنحها الطبيعة، إذ يولد الإنسان مفطورا بها. أما الحقوق المدنية تمنح من طرف الدولة عن طريق تشريع القوانين والمؤسسات.

من خلال ما تم طرحه من أفكار يتضح أن مفهوم الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي يختلف اختلافا جذريا عند كل من هوبز وروسو هذا ما يفتح المجال أمام تساؤلات أخرى

خاتمة

فهل يمكن تحقيق مفهوم الحرية التي نادى بها هوبز وروسو في النظم السياسية المعاصرة رغبة في تحقيق الديمقراطية دون الوقوع في فخ الإستبدادية؟

الملخص:

تعد الحرية من المفاهيم الجوهرية، ومن الإشكاليات الأساسية التي تندرج ضمن الفلسفة السياسية. وفي إطار فلسفة العقد الإجتماعي التي إهتمت بالتأسيس للدولة والتبرير للسلطة تتباين وجهات النظر حول الحرية، إذ يمثل توماس هوبز وجان جاك روسو نموذجين متقابلين في هذا السياق وذلك إنطلاقا من فهمهم لتطور المجتمع السياسي من الحالة الطبيعية للحالة المدنية. حيث كان الهدف من هذا البحث هو البحث عن إمكانية إقامة دولة الحرية في فلسفة العقد الاجتماعي من خلال المقارنة بين أفكار هوبز وروسو سواءً بالتأسيس للحكم المطلق أو حكم الإرادة العامة.

الكلمات المفتاحية: الحرية، العقد الاجتماعي، الحالة الطبيعية، الحالة المدنية، الحكم المطلق، الإرادة العامة.

Abstract:

Freedom is considred one of the fundamental consepts and among the main issues raised within political philosophy. Within the framework of the social contract theory , which aimed at establishing the state and justifying authority, various perspectives on freedom have merged. Thomas Hobbes and Jean-Jacques Rousseau two contrasting models in this context, based on theirunderstanding of the devlopment of civil society from the state nature to the civil state. The goal of this study is to explore the possibility of establishing a state of freedom within the philosophy of the social contract by comparing the ideas of Hobbes and

Rousseau, whether through the foundation of absolute rule or the general will.

Keywordz : Freedom, Social contract, State of Nature, Civil State, Absolute Rule, General will.

الملاحق

الملاحق:

الفرابي: هو أبو نصر محمد بن محمد الفرابي بن أوزلغ بن طرخان التركي الفرابي، فيلسوف مسلم تركي الأصل، أشتهر بجمعه بين علوم المنطق والسياسة والأخلاق وقد لقب ب المعلم الثاني وكان له الأثر الكبير في كبار فلاسفة المسلمين اللاحقين أمثال ابن سينا وابن رشد، ألف الفرابي عدة كتب من بينها آراء أهل المدينة الفاضلة، الموسيقي الكبير، وإحصاء العلوم والتعريف بأغراضها. أنظر: https://www.hindawi.org

أوغسطين: لقد ولد أوغسطين لأب وثني وأم مسيحية في الثالث عشر من نوفمبر عام 453، في مدينة تدعى تاجست Tageste تعرف اليوم بسوق أخرس بالجزائر. كتب القديس أوغسطين عبر حياته الخصبة مؤلفات عديدة عن قناعاته الفلسفية المختلفة عبر مراحل منها "ضد الأكاديميين"، و "في الحياة السعيدة" وكتاب "في النظام" وكتاب "مناجيات"، و "الدين الحقيقي" و "في الكنيسة الكاثوليكية" وكتاب "التثليث" وإن كان أشهر مؤلفاته جميعا على الصعيد الفلسفي كتابيه "الإعترافات" و "مدينة الله". انظر: النشار مصطفى، 1999، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، صفحة 179_ 182.

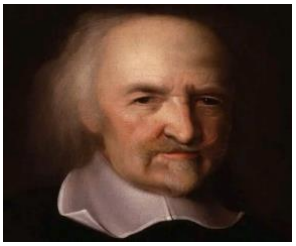
رونيه ديكارت: أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان قاطبة. ولد في لاهاي، أرسله والده إلى معهد لافليش حيث لقنوه مبادئ الإيمان ومعها اللاتينية والتاريخ والبلاغة وعلى الأخص الفلسفة. أنظر: طرابيشي جورج،، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص 298_299.

فولتي: ولد ومات في باريس، اسمه الحقيقي فرانسوا ماري أرويه، درس في معهد لوي لوغران، تعرض للسجن والنفي سنة 1717، له عدة مؤلفات أدبية وفلسفية حيث طبع كتابه الأول بفضل وساطة الآباء اليسوعيين أنشودة للقديسة جنيفيف، وفي عام 1718

مثلث له مسرحية أوديب، وفي يوم زواج لويس الخامس عشر مثلت له ثلاث من مسرحياته. وكاد أن يصير الشاعر المعتمد للبلاط. لكنه في الوقت نفسه كان فيلسوفا مناضلا، أهم ما كتب في الفلسفة : رسائل فلسفية والقاموس الفلسفي. انظر: طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص471 _472.

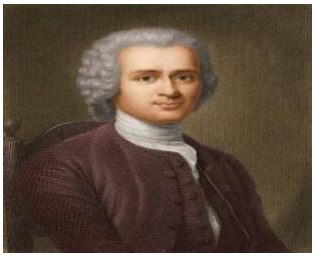
جون بول سارتر: كاتب وفيلسوف فرنسي. ولد في باريس ومات فيها، أنشأته أمه التي ترملت عام 1906، تعرف إلى سيمون دي بوفوار عام1926، وجاز امتحان التبريز في الفلسفة عام 1929، أتم خدمته العسكرية عام 1929، وصار بعد ذلك أستاذا للفلسفة في الهافر، من أهم مؤلفاته: الوجود والعدم، الغثيان، دروب الحرية. انظر: طرابيشي جورج،، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص 348.

توماس هوبز: فيلسوف مادي تتلمذ على بيكون فإنخرط في سلك التجريبين الإنجليز، وهو من الناحية السياسية ملكي متطرف، وقف في صف الملك عندما احتدم الصراع بينه وبين البرلمان. لقد عاش هوبز للفكر وحده لم يتزوج ولم تكن له أسرة ولا ولد، ولا سعى إلى منصب أو جاه، إشتغل بالفلسفة السياسية لأنه حاول أن يفلسف أوضاع بلاده. انظر: إمام عبد الفتاح إمام، 1985، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص21_23.



جون لوك: فيلسوف إنجليزي، تحدر من أسرة طهرانية من الطبقة الوسطى، التحق بجامعة إكسفورد عام 1652 حيث درس الآداب والفلسفة في بادئ الأمر ثم الطب، كان عضوا في جمعية لندن الملكية، ثم صار من أعضاء مجلس إدارتها، مؤلفه الرئيسي محاولة في الفهم البشري، وأيضا في الحكم وحول الحكم المدني ورسائل حول التسامح. أنظر: طرابيشي جورج، 2006، معجم الفلاسفة، ط.3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 598_599.

جان جاك روسو: مفكر فرنسي ولد بجنيف عاش طفولة وشباب عسيرة، نشأ كابن لساعاتي في الطبقة المتوسطة لجنيف، ماتت أمه مبكرا، عندما كان روسو قد أتم العاشرة من عمره لقد تم وضعه تحت رعاية القساوسة وتعلم مهنة النقش، غادر من جنيف في السادسة عشر من عمره دون إكمال تعليم ودون عمل أو هدف، كان



ينتقل طيلة أربعة عشر عاما من مكان إلى آخر، انتقل عام 1742 إلى باريس حيث تكونت صداقة له مع المفكر الحر دونيس ديدرو، وفي 1761 نشر مقال كان قد فاز به بجائزة الأكاديمية وهو بحث في العلم والفنون، وفي عام 1755 نشر بحثه أصل عدم المساواة، وفي 1742 إكتمل مخطوطه إيميل مع ثاني أهم أعماله العقد الإجتماعي. انظر: تسيمر، روبرت. 2012، في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة، الجزء الثاني، ط1، دار الحكمة، لندن، ص 151_152_153.

ميكيافيلي: ولد في مقاطعة فلورنسة، وشب في عهد الأمير المديتشي، بورنزو العظيم الذي اعتبر العصر الذهبي الإيطالي وكان ميكيافيلي ينحدر من عائلة تكن العداء لأسرة مديشي، شغل ميكيافيلي عدة مناصب : أمين سر القنصلية ... وضع ميكيافيلي عدة مؤلفات منها الأمير وهو أهم أعماله وكتاب المطارحات أو المخاطبات، وكتاب فنون الحرب كما في الشعر والمسرح.

دكتاتورية: حكومة الفرد، بلى السلطة عنوة، ويستبد بالأمر. والدكتاتور له كاريزما خاصة، ومجرد ظهوره يقنع الآخرين ويشدهم إليه، فيصفقون له ويأتمرون بأمره ومن صفاته أن تلتف حوله جماعة هم من أنصاره وأعوانه. وكان **هتلر** دكتاتوريا وكذلك **موسولوني**. انظر: الحنفي، عبد المنعم، 2000، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص356.

الليفياثان: هو كائن خرافي له رأس تنين وجسد أفعى، يستعمله هوبز ليصور سلطة الحاكم أو الدولة التي يستبدل بها الناس ضمن عقد إجتماعي جديد سلطة الدين أو اللاهوت. أنظر: .https://www.majala.comوهو ذلك التنين العظيم_ أو بالأحرى إذا تكلمنا بمزيد من الإحترام_ تلك هي نشأة ذلك الإله الفاني أو الأرضي الذي ندين له في ظل الإله الخالد بسلامنا والدفاع عنا. انظر: إمام عبد الفتاح إمام، 1985، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، نفس المرجع، ص 371.

البرجوازية: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية بين الأشراف الزراع، وأصبحت دعامة النظام النيابي، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأس مالي وقابلت بهذا طبقة العمال. أنظر: وهبة، مراد. 2007، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 138.

العقد الإجتماعي: ظهر كتاب جان جاك روسو العقد الإجتماعي سنة 1762 وقد كان روسو قد بدأ بمشروع كتابة العقد الإجتماعي سنة 1742 عندما كان يعمل مساعدا في السفارة الفرنسية بقينا. ويحتوي الكتاب على أربعة أجزاء يتضمن الأول منها شرحا لقضية الميثاق الجماعي، وتعرض في الجزء الثاني لنظرية السيادة، ويشرح في الثالث أشكال الحكومة وإختتم الجزء الرابع بدراسة جوانب عديدة للدولة.

إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني، من أسرة من البرجوازية الصغيرة، نشأ في جو مسيحي مشبع بروح النزعة التقوية التي تركت تأثيرا عميقا في نفسه، من أهم مؤلفاته المؤلف الذي سيحدث ثورة في العالم الفلسفي: نقد العقل الخالص، إضافة إلى النقدان الكبيران الآخران نقد العقد العملي، ونقد الحكم. أنظر: طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص 513_515.

الملاحق

جون رولز: ولد في الولايات المتحدة الأمريكية، كان فيلسوفا سياسيا وأخلاقيا أمريكيا، اشتهر بدفاعه عن المساواة الليبرالية في عمله الرئيسي، نظرية العدالة 1971. يعتبر على نطاق واسع أهم فيلسوف سياسي في القرن العشرين، أنظر: https://www.britanica.com

سورة البقرة. القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

1 توماس هوبز. (2011). الليفياثان: الأصول الطبيعية والسياسة لسلطة الدولة(الإصدارالأولى). (ديانا حرب، و صعب بشرى، المترجمون) أبوظبي الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ضبي للثقافة و التراث.

2 جان جاك روسو. (2012). أصل التفاوت بين الناس. (عادل زعيتر، المترجمون) القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.

3 جان جاك روسو. (2012). العقد الاجتماعي. (عادل زعيتر، المترجمون) القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

قائمة المراجع:

1 إبراهيم زكريا. (بلا تاريخ). مشكلة الحرية (الإصدار الثاني). مكتبة مصر.

2 ألبير سوبول. (1989). تاريخ الثورة الفرنسية (الإصدار الرابع). (جورج كوسي، المترجمون) بيروت– باريس: منشورات عويدات.

3 الراغب الأصفهاني. (2009). مفردات ألفاظ القرآن. دمشق: دار القلم .

4 إمام عبد الفتاح إمام. (1985). توماس هوبز فيلسوف العقلانية. دار الثقافة للنشر والتوزيع.

5 إمام عبد الفتاح إمام. (2001). الأخلاق و السياسة دراسة في فلسفة الحكم. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

6 أميرة حلمي مطر. (1995). الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس (الإصدار الخامس). القاهرة: دار المعارف.

7 آندري كريسون. (1988). روسو: حياته_ فلسفته_ منتخباته. بيروت_ باريس: منشورات عويدات.

8 إيمانويل كانط. (بلا تاريخ). مشروع السلام الدائم. (سمير سرحان، المحرر، و عثمان أمين، المترجمون).

9 برتراند راسل. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

10 جان توشار. (2010). تاريخ الافكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار 2 (الإصدار الأول). (ناجي الدراوشة، المترجمون) دمشق سوريا: دار التكوين للتاليف و الترجمة والنشر.

11 جون رولز. (2009). العدالة كإنصاف (الإصدار الأول). (حيدر حاج إسماعيل، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

12 حسن جلال. (1927). الثورة الفرنسية. القاهرة: دار الكتب المصرية.

13 حسين جميل. (1986). حقوق الإنسان في الوطن العربي. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

14 روبرت تسيمر. (2011). في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة (الإصدار الأول). (عبد الله محمد أبو هشه، المترجمون) لندن: دار الحكمة.

15 روبرت ووكلر. (2015). روسو مقدمة قصيرة جدا. (أحمد محمد الروبي، المترجمون) مؤسسة هنداوي.

16 صالح مصباح. (2011). فلسفة الحداثة الليبرالية ممن هوبز إلى كانط (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: جداول للنشر و التوزيع.

17 عبد الحميد البطريق، و نوار عبد العزيز. (1997). التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر. القاهرة: دار الفكر العربي.

18 ف. فولغين. (2006). فلسفة الأنوار (الإصدار الأول). (هنريت عبوي، المترجمون) بيروت_لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

19 فولتير. (بلا تاريخ). قاموس فولتير الفلسفي. (يوسف نبيل، المحرر) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

20 كامل محمد محمد عويضة. (1993). جان بول سارتر فيلسوف الحرية (الإصدار الأول). بيروت_ لبنان: دار الكتب العلمية.

21 محمد بهاوي. (2014). نصوص فلسفية مختارة.

22 محمد حسين هيكل. (بلا تاريخ). جان جاك روسو حياته وكتبه.

23 محمد نصر مهنا. (1999). في تاريخ الافكار السياسية وتنظير السلطة. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

24 مصطفى النشار. (1999). تاريخ الفكر السياسي القديم من صولون حتىإابن خلدون (الإصدار الأول). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

25 نبيل عبد الحميد عبد الجبار. (2007). توماس هوبز ومذهبه في الاخلاق و السياسة. دار دجلة.

26 نجيب المستكاوي. (1989). جان جاك روسو حياته مؤلفاته غرامياته. القاهرة: دار الشروق.

27 نيقولا ميكيافيلي. (2004). الامير. القاهرة مصر: مكتبة ابن سينا للذبع و النشر والتوزيع.

28 هيغل. (1996). أصول فلسفة الحق. (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.

29 يوسف كرم. (2012). تاريخ الفلسة الحديثة. القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

المعاجم والموسوعات:

1Larousse.(2010) dictionnare de francais

2 إبن منظور. (1405). لسان العرب. نشر أدب الحوزة.

3 آندري لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار الثاني). (خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت، باريس: منشورات عويدات.

4 بيتر كونزمان، فرانز، بوركارد بيتر، و فيدمان فرانز. (2007). أطلس الفلسفة. (جورج كتورة، المترجمون) بيروت_ لبنان: المكتبة الشرقية.

5 جلال الدين سعيد. (1994). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. دار الجنوب للنشر.

6 جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي. بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني.

7 معجم الوسيط. (2005). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

8 معهد البحرين للتنمية السياسية. (2014). معجم المصطلحات السياسية.

9 علي بن محمد السيدالشريف الجرجاني. (بلا تاريخ). معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة.

المجلات:

1 إبراهيم أحمد شعير الجميلي. (2023). العلاقة بين الطبيعة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي لتوماس هوبز. مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية. المجلد (14). العدد (02).

2 بلقاسم بن شعيب. (2024). مفهوم السلطة والسيادة والدولة في الفكر السياسي عند جون جاك روسو. بليلي شفيعة. (2010). الفلسفة السياسية في تصور الفرابي.

3 جمال برقاوي، وطاهير رياض. (2022). العقد الاجتماعي عند جان جاك روسو. مجلة رفوف. المجلد (10). العدد (01).

4 صباح كريم رياح الفتلاوي. (2008). نظريتا الحق الإلهي والعقد الإجتماعي. العدد (10).

5 عبد الله الطاهر مسعود. (2020). الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو (دراسة مقارنة ئفي طبيعة المجتمع السياسي). مجلة كلية الآداب. العدد (29).

6 عفاف مصباح بلق. (2019). مفهوم الحرية في الفكر الاسلامي. مجلة كليات التربية. العدد (16).

7 معاشو نصر الدين. (2023). سؤال الحرية وعلاقته بالوجودية في فلسفة جون بول سارتر. مجلة مشكلات الحضارة. المجلد (11). العدد (1).

8 وفاء برتيمة. (2018). أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير. مجلة علوم الإنسان والمجتمع. العدد (26).

الدراسات السابقة:

1 نعمون مسعود. (2008). التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو . الجزائر.

2 زيان محمد. (2019). قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث و المعاصر. وهران.

المواقع الإلكترونية:

1 محمد علوش. (2017). anfasse.online. تم الاسترداد من https://www.anfasse.online.

الفهرس

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للحرية والعقد الاجتماعي: 5

المبحث الأول: مفهوم الحرية وتاريخيتها..... 7

أولا: الحرية لغة وإصطلاحا:..... 7

ثانيا: تطور مفهوم الحرية عبر العصور: 10

المبحث الثاني: جينيالوجيا وكرونولوجيا مصلح العقد الإجتماعي: 16

أولا: مفهوم العقد لغة وإصطلاحا: 16

ثانيا: حول العقد الإجتماعي : 18

الفصل الثاني: تجليات الحرية في فلسفة العقد الإجتماعي عند هوبز وروسو.....21

المبحث الأول: الحرية عند توماس هوبز 22

أولا: هوبز بين واقعية ميكيافيلي وفوضى إنجلترا 22

ثانيا: الإنتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية: 26

المبحث الثاني: الحرية عند جان جاك روسو:.....34

أولا: روسو: كيف شكلت أحداث فرنسا رؤيته السياسية؟ 34

ثانيا: من الحرية الطبيعية للحرية المدنية: 38

الفصل الثالث:هوبز وروسو: دراسة مقارنة في الأسس والأبعاد:.....46

المبحث الأول: أوجه التشابه والإختلاف بين توماس هوبز وجان جاك روسو:.....47

أولا: أوجه التشابه: 47

ثانيا: أوجه الإختلاف: 48

المبحث الثاني: أبعاد نظرية العقد الإجتماعي والنقد والموجه إليها:.....52

أولا: أبعاد نظرية العقد الإجتماعي:.....52
ثانيا: النقد و التقييم: 55
خاتمة : 60
الملخص.....63
الملاحق: 65
قائمة المصادر والمراجع: 70
الفهرس.....76